جورج الخوري

ميداليتا شرف من جمهورية فرنسا

مؤسس ومدير عام لمصرفَيْن في لندن

مؤسس ومدير عام لمصرف في البحرين

مؤسس مصرف في هيوستن–تكساس في الولايات المتحدة ومسؤول عنه

عضو في مجلس إدارة ثلاثة مصارف: لندن، جنيف، بيروت

رئيس ثلاث لجان مصرفية

الرئيس المؤسس ل إي.سي.آي. A.C.I لبنان – جمعية السوق المالية (٨٠ مصرفاً)

الرئيس المؤسس لجمعيّة السوق المالية العربية I.C.A (250 مصرف)

عضو في جمعية المصرفيين الدوليين أف.آي.بي.إي. F.I.B.A.

عضو في جمعية المصرفيين العرب أف.إي.بي.إي. F.A.B.A.

مصرفيّ الله

وتعرفون الحقّ والحقّ يحرّركم

مصرفيّ الله

جورج الخوري

© 2016 **جورج الخوري**

جميع الحقوق محفوظة. لا يمكن نسخ أو إستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال من دون إذن خطي من الناشر.

ISBN:

0-0036-0-9953

مصرفيّ الله

رحْتُ أحلّق في طائرتي المستأجَرة فوق باريس، مفعماً بالثقة والإقدام.

سار كلّ شيء حسبَ ما خططتُ له؛ في ذلك اليوم، كانتْ الريح حليفتي، وكذلك كبريائي واعتزازي بنفسي. شعرْتُ بأنني أخطّ سطور مستقبلي كما أشاء، وبأنني أنا السيّد المطلق على حياتي، وبأنّ العالم بأسره خاضع لإرادتي. وفجأةً، وقع ما لم يكنْ في الحسبان...

فقدْتُ السيطرة على الطائرة، وسرعان ما وجدْتُ نفسي أهبط بسرعة جنونيّة تنذر بتحطّم لا مهرب منه.

خلال ثوانٍ، شعرت بالعجز التام وصرت أتحرّق لرؤية الطائرة تلامس الأرض.

كانتْ لحظات معدودة تفصلني عن موتٍ محتّم، تجاذبني خلالها شعوران لم أستطعْ مقاومتهما: الخوف من الموت والفضول لمعرفة ما يحدث بعد الموت.

خوفي كان من المجهول، وفضولي كان يؤججه سأمي من تفاهة الحاضر الذي أعرفه حقّ المعرفة.

وما لبثْتُ أن صحوْتُ من خدر مشاعري لأجد نفسي خارجَ الطائرة المحطّمة، ولم أصبْ إلا بكسر في إصبعي. ولم يبقَ من فضولي شيء سوى انعكاسات رأيتها في عيون الجموع

التي تحلّقَتْ حولي تستطلع تفاصيل حادث التحطّم... وبدوا لي جلياً أكثر أسفاً على الطائرة منه على الطيّار.

لم آبه لانفعالاتهم، فعلى الأقلّ كنتُ محظوظاً. أو هذا ما ظننته حينذاك...

"حادثة تحطم الطائرة"

لكنْ لأخبرك قصّتي منذ البداية...

الفصل الأوّل

طفولتي

نشأتُ في عائلة فقيرة في لبنان، وبدأتُ بالعمل في سنّ الثالثة عشرة لأعين والديّ على إعالة العائلة. عملْتُ أولاً في مركز سباق الخيل في بيروت كنادل في القهوة، بعد ذلك ترقيت لأصبح بائع بطاقات، خلال عطل نهاية الأسبوع والأعياد. وكنتُ أعطي كلّ ما أجنيه من أتعاب زهيدة لوالديّ.

كانتْ أمّي إمرأة إستثنائيّة جداً، إذ كانت تجمع بين أقصى الحزم وأقصى التديّن في آنٍ معاً. كنّا ننتمي إلى طائفة دينية مسيحيّة تقليديّة، وكانتْ أمي مولعة بالصلاة، والإنجيل بالكاد يفارق يديْها. وأذكر أنّ طفولتي طُبعَتْ بالحرمان. حتّى إنّها لا تغيب من ذاكرتي حتّى اليوم صورة ذاك الرجل الذي راح يلتهم تفاحة حمراء كبيرة، وما كان بيدي حيلة سوى اشتهاء مثلها. حتّى التفاح، كنا نعتبره ترفاً لا نسمح لأنفسنا أن نبذخ عليه! إلى أنْ ضقْتُ ذرعاً بأحوالنا الماديّة، وصمّمْتُ على انتشال عائلتي من دوامة الفقر المدقع هذه.

لكنّ أوضاعنا الماديّة راحَتْ تتدهور من سيّء إلى أسوأ، ولم يجد والداي حلاً سوى أن أترك المدرسة وأجد وظيفة براتب ثابت نعتاش منه. وفي حين لم أصادف سوى المتاعب، إنبسطَتْ أمامي فسحة أمل. كانتْ قواعد المدرسة تنصّ أن

تُقدّم منحة للمتفوق الأول في الدراسة. فاغتنمْتُ الفرصة لأكمل تحصيلي العلمي وأتحرر من قيود الفقر التي تكبّلني... وبالكدّ والجهد حصلْتُ على المنحة!

أثبتت لي هذه التجربة أنني قادر على تحقيق ما أردْتُ، إنْ وُجد التصميم. كان ظمأي للتقدّم لا يُروى، إذ رفضْتُ أن أرزح طيلة عمري تحت نير الفقر. وما إنْ أنهيْتُ دراستي، حتّى تحدّيْتُ الأقدار بثقة كبيرة قائلاً: "أيّها العالم إنتظرني، ها أنذا آتٍ".

الفصل الثاني

بداياتي في العمل المصرفي

كان أوّل عمل تسلّمته في مصرف في بيروت، حيث اكتسبت شعبية كبيرة من جانب المصرف وبين زملائي في العمل، علماً بأني لطالما أردت أن أكون معروفاً ومحترماً، وكنتُ مستعدًّا لفعل أي شيء لأكسب صيتاً حسناً ضمن عملي ولدى الجنس الآخر. وسرعان ما تم انتخابي رئيساً للجنة المشتركة بين المصارف (Forex Club– Liban).

استطعت أن أحقق أهدافي من خلال سرعة بديهتي، ودهائي وبراعتي.

حتى خلال مراهقتي، أقمْتُ علاقات مع فتيات كثيرات – الأمر الذي كان يُعتبر غير مألوف، وحتّى غير مقبول في الشرق الأوسط خلال الأربعينيات. فحملت مني إحدى صديقاتي ورجتْني أن أتزوّجها، وهددتني بالإنتحار إنْ رفضْتُ تحمّل مسؤوليّاتي، فلم آبه. وما كان منها إلا أنْ أجهضَتْ الطفل. ووصلني بعد فترة قصيرة خبر انتحارها الذي تصدّر الصحف المحليّة آنذاك. كنتُ مسؤولاً عن موت الأمّ وطفلها معاً – إلا أن تلك الحادثة المأساوية لم تهزني كثيراً في ذلك الحين لأنّ قلبي كان متحجراً جداً... وبعد سنوات، تزوّجْتُ ورُزقت بأربعة أولاد.

على صعيد العمل، بدأت أترقى سريعاً في مناصبي، ما

أمّن لي الرفاهيّة التي كنتُ أطمح لها. تقدّمي السريع هذا وتفوقي على زملائي، جعلهم يحسدونني – ومع ذلك لم أشعر بالرضى! كنتُ منزعجاً طوال الوقت لأنني أردْتُ أن أتقدّم أكثر فأكثر في مجال العمل المصرفي، لكن أعاقتني الحياة الزوجيّة والأولاد.

وظيفتي الأولى

وظيفتي الأولى

أردْتُ فسحة أكبر من الحريّة، مقداراً أكبر من القوّة، أردْتُ المزيد من المال، أردْتُ أن أرى العالم...

ذات يوم، أتيحت لي فرصة رائعة لكن مليئة بالتحديّات. فقصدْتُ مديري وقلْتُ له: "أشعر بالمحدودية هنا. بإمكاني أن أعطي أكثر لكن آفاق العمل هنا ضيقة جداً. هل يمكن إرسالي للعمل في أحد فروع المصرف في الخارج؟"

فأجابني:

- سأسافر قريباً، وسأفكر في الأمر

عندما عاد، قال لي:

–يوجد منصب شاغر في فرعنا في بلجيكا. لكنّه ليس بالمنصب السهل. فلقد حاول موظفون كفوؤون كثر من المكتب الرئيسي في باريس استلامه قبلك وفشلوا!"

فسارعْتُ إلى الردّ: – "قبلْتُ الوظيفة"

لكنه أردف قائلاً: – "أحذّرك، إنْ فشلت، لا يمكنك استعادة منصبك هنا!"

أجبته: – "موافق".

وما هي إلا أيّام حتّى سافرْتُ إلى بلجيكا، تاركاً زوجة حائرة، وأربعة أولاد صغار. وكل هدفي التقدم في الحياة...

الفصل الثالث

امتلاك السلطة

لم تمنعني ثقتي الكبيرة بنفسي من مواجهة التحديات والصعوبات في وظيفتي الجديدة. في البداية، لم أفهم طبيعة عمل الموظّفين، ومن المفترض أنني كنتُ مديراً عليهم! في الواقع، لا تؤهلني خبرتي السابقة أن أتحمّل مسؤوليّة مماثلة. لكنني سرعان ما تعلمت قواعد اللعبة. فبدأتُ أتعلم وأثقف نفسي مدّعياً أني أراقب الموظفين الذين كانوا تحت إشرافي. تعلّمت عبر طرحي الأسئلة عليهم والثناء على جهودهم، فظنوا أن مديرهم يهتمّ كثيراً لأمرهم. فدرست وعملت جاهداً، وما هي إلا فترة قصيرة حتّى حدث ... الاختراق!

بعد ليالٍ طويلة من الدراسة، أوجدت صيغةً ترتكز على معدّلات الفائدة. ووضعت استراتيجيّة مصرفيّة فعالة، وأطلقتها في الوقت المناسب. وما هي إلا فترة قصيرة حتى أطلق المصرف الذي كنتُ أعمل فيه استراتيجية رائدة تتعلّق بالقروض المالية في أوروبا. أبدعت في عملي فبدأ المصرف يجني أرباحاً طائلة. فأرسل المكتب الرئيسي للمصرف الفرنسي الذي كنتُ أعمل فيه فريقاً خاصاً ليحقّق في الارتفاع المفاجئ والملحوظ لأرباح فرعهم في "بلجيكا". ظنوا في البداية أن الأرباح ناتجة عن عمليّة غير شرعية، لكنْ بعد تحقيقات طويلة، زارني رئيس لجنة التحقيق وهنّأني. وقدم للمدير تقريراً إيجابياً جداً، فتمت ترقيتي مباشرةً إلى المكتب الرئيسي في باريس! فوجدت نفسي

متفوقاً على آلاف الموظفين قبلي.

ذاعَتْ شهرتي سريعاً في الوسط المصرفي حول العالم، لا سيما في أوروبا والعالم العربي. ورحْتُ أتسلّق سلّم النجاح بسرعة فائقة. وكم سرّني أن أتفوّق على منصب مديري السابق في لبنان، علماً بأنّ منصبه كان قد عُرض عليّ مرّتيْن، لكنّ احتمال عودتي إلى لبنان كان غير وارد. ففي ذلك الوقت، كانت أوروبا محور نجاحاتي...

ازداد راتبي بشكل لم أحلم به أو أتخيّله يوماً. ورحْتُ أحرز النجاح تلو الآخر حتّى أصبحْتُ خبيراً في مجال تأسيس المصارف، فأسّسْتُ الكثير منها حول العالم. وأصبح حلمي بالسفر حول العالم مجرّد روتين يوميّ.

استلمْتُ وسامَيْ شرف من الجمهورية الفرنسيّة (ميدالية شرف من العمل Medailles d'honneur du travail) . اتسعت شبكة معارفي حول العالم. وإلى جانب المنصب الأخير الذي تبوأته، شغلْتُ في الوقت عينه منصب الرئيس التنفيذي لمصرفَيْن في لندن وكنتُ مسؤولاً عن مصرف في هيوستن– الولايات المتحدة، وعضواً في مجلس إدارة مصرف في لندن ومصرف في جنيف في سويسرا، ومصرف في بيروت.

وترافق النجاح مع السلطة...

أصبحْتُ معروفاً جداً في مدينة لندن، حتّى إنّه صار من الصعب الوصول إليّ قبل المرور بمعاونين أو سكرتيرات. كان

يكفي أن أقول كلمة واحدة لأطرد موظفاً من عمله. وكنت أتّبع نظامًا صارمًا جدًّا مع الموظفين. حتى سائقي الخاص، لم يجرؤ مرةً على التأخر ولو لدقيقة واحدة.

أذكر مرةً أنّ رئيس وزراء إنكلترا، "جون ماجور"، أرسل إلي دعوةً إلى مأدبة عشاء مخصصة لمدراء البنوك، فاعتذرْتُ عن الحضور وأرسلْتُ مَنْ يمثلني.

وترافقَتْ السلطة مع المال...

كنتُ أسكن في منزل كبير جداً على مقربة من لندن، يشرف على نهر ال"تايمز". وكانتْ الحديقة المنبسطة أمامه بحجم ملعب كرة القدم، تنتهي عند النهر المذكور، حيث كان يلذّ لي أن أراقب حركة السفن التي تعبره ذهاباً وإياباً عند حدود حديقتي. بالفعل، كان بيتي أشبه بقصور الأحلام.

كنتُ أملك شقةً في جادة "فوش"، الشارع الأكثر فخامة في باريس، بالإضافة إلى شقة أخرى في أجمل المباني في نيويورك، في مبنى "ترامب بلازا"...

وترافق المال مع الشهرة...

أحاطت بي نساء كثيرات، وكانتُ لي صديقات كثيرات. في الواقع، خلال السنوات التي أمضيتها في الخارج، فاق عدد النساء اللواتي تواعدْتُ معهنّ المئات. فضاهيت بذلك الملك

سليمان.

وبلغْتُ مرحلةً، كنتُ أخصّص فيها امرأةً لكلّ يوم من الأسبوع، ما عدا يوم الخميس الذي كرّسته للراحة –لكن حتى ذلك اليوم كان مليئاً بالمغامرات– إذ كنتُ أستقل طائرة ال "كونكورد" من أوروبا إلى نيويورك لأزور "أحدث" صديقاتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فحسب – فلم يكن المال عائقاً بالنسبة إلى رجل مثلي.

في ذلك الوقت، كنتُ قد طلّقْتُ زوجتي. وظننتُ أنني قد حصلْتُ على كلّ ما يتمناه أيّ رجل – السلطة والمال والنساء.

ظننتُ أنني وجدتُ أخيراً السعادة ومعنى لحياتي... لكنني كنتُ مخطئاً! فكلما أحرزت نجاحًا باهرًا، شعرْتُ بأنّني لم أحقق شيئاً. كنتُ فارغاً من الداخل. كلما امتلكتُ أكثر، أردت المزيد، وكان لي ما أريد – لكنّ شيئاً لم يملأ هذا الفراغ في داخلي. كنتُ أسيرَ نفسي. ورحْتُ أتساءل: ما الفرق بين طفولتي ورشدي؟ ما الفرق بين أن يكون المرء فقيراً وفارغاً روحياً، وثرياً وفارغاً روحيّاً؟

وكثيراً ما حاولْتُ أن أقنع نفسي بأني سعيد ومكتفٍ. وكنتُ أضع نفسي دائماً أمام تحدٍ جديد وصديقة جديدة، ومكان جديد... ملكْتُ كلّ ما رغبت فيه، ولكني كنت متعباً ضجراً. ما معنى الحياة؟ لماذا وُلِدت؟ كذبت كثيراً على نفسي، محاولاً إيجاد ملاذًا في ذاتي ومالي وسلطتي وصديقاتي ومعارفي. حصلت على كل ما يرغب فيه المرء.

وكان الجميع وكل شيء تحت سيطرتي، إلا أمران كانا يزرعان

الرهبة في نفسي، وهما المرض التعجيزي، والموت.

بقيتُ ٣١ سنة خارج لبنان، وطيلة هذه الفترة، لم تكفّ أمي عن حثي على قراءة الإنجيل، مصلّية أن أعود إلى زوجتي. حتّى إنها طلبَتْ من إبني أن يعطيني إنجيلاً مكتوباً باللغة العربيّة في مناسبات مختلفة، لكنه لم يفعل...

الفصل الرابع

أبٌ يلتقي بابنه

أنهى إبني دروسه في لبنان، وانتقل إلى لندن بحثاً عن عمل. فجأةً، شعرْتُ بأنّ نمط حياتي وحريتي مهددان. كيف سأنظم مواعيدي مع صديقاتي، وهو يعيش معي تحت سقف واحد؟ وكم ينوي أن يبقى معي؟

بعدما عشْتُ حياة عزوبيّة لثماني وعشرين سنة في الخارج، عاد شبح الماضي يطوف فوق حاضري. كنت أشعر بأنه يكفي أنْ أتواصل مع عائلتي عبر الهاتف، وأن أدفع لها نفقة شهرية. كان "وليد" في السابعة من عمره عندما هجرْتُ عائلتي في لبنان، وبالتالي لم يكن يعرف أحدنا الآخر كثيراً. وها هو الآن شاب يافع في الخامسة والعشرين من عمره، يهدد بالبقاء في منزلي لمدّة غير محددة– فكيف أتعامل مع هذه المشكلة؟ مع هذا التغيير الجذري؟ كيف أتعامل مع ابني؟

لكن سرعان ما أصبح وليد مرناً جداً. ولم يتذمّر قطّ حين كنت أطلب منه الابتعاد عن المنزل لبضعة أيام أو في عطلة نهاية الأسبوع لكي أستقبل واحدة من صديقاتي. وإنْ لم يجد مكاناً يذهب إليه، كان يحتجز نفسه في غرفته لأربع وعشرين ساعة كي لا يقاطع مواعيدي الغراميّة تلك.

مع أننا اعتدْنا على التعايش معاً، فقد كانتْ الحياة معي صعبة جداً، ما سبب له معاناة كبيرة! كان سائقي يقلّنا إلى

العمل كلّ يوم في سكون تامّ لأنني كنت أكره المحادثات في الصباح. كنتُ أقرأ كلّ صباح صحيفتيْن: "ذي هيرالد تريبيونز" (The Herald Tribunes) و"ذي فاينانشيل تايمز" (The Financial Times) فيما كنتُ أقرأ أنا صحيفة، كان يقرأ هو الأخرى بكل تيقّظ، حرصاً على تمريرها لي فور انتهائي من قراءة الصحيفة التي بين يديّ، وذلك من دون تذمر أو نقاش، حتّى لو لم ينتهِ من قراءتها أو أراد أن يحتفظ بها بعد.

في طريق العودة، حين كان التحدث مسموحاً، كنت أملي على سائقي أن يشغّل الأغنية السادسة من أسطوانتي المفضلة للمغنية "إيديت بياف" طول الطريق. ففي السنوات الثلاث الأولى، وطوال رحلة عودتنا إلى البيت التي تستغرق ستين دقيقة كل يوم، كنا نسمع الأغنية نفسها مراراً وتكراراً. ما يعني أنني كنتُ أستمع إلى الأغنية نفسها ست عشرة ألف وخمسمئة مرّة قبل أن أنتقل إلى أخرى. لم يكنْ إبني يرافقني دائماً في طريق العودة لأنه لا يتحمّل الحرارة، أما سائقي المسكين فلم يُترك له خيارٌ آخر! وكل ما جناه من عمله معي هو تحسنه الملحوظ في اللغة الفرنسيّة.

كنتُ أملك كلبيْن ضخميْن يخضعان هما أيضاً لنظامي الاستبدادي – ولحوالى ثماني سنوات، لم يخرجا قطّ من حديقة البيت، وكانا يأكلان الطعام المجفف المخصّص لهما في الوقت نفسه من كلّ يوم!

أتتخيّل كم كنت صعب المراس؟

ذات يوم، سألني "وليد":

"أبي، أين تضع جواربكَ؟"

كنتُ أسافر كثيراً، وأثناء غيابي، كان إبني، إن نفذ من الجوارب النظيفة، يتسلّل إلى غرفتي بحثاً عن زوج من الجوارب . لكنّه لم يجد واحداً يوماً!

كلّ ما كان يجده هو فردة واحدة من الجوارب– ولا يجد الأخرى. ولأشهر طويلة حاول حلّ هذا اللغز – إذ لم يجرؤ على مفاتحتي بحقيقة تفتيشه بين أغراضي! حتّى بلغَ فضوله أوجه يوماً، فقرر أن يسألني:

"أبي، أين تضع جواربك؟ بحثْتُ عن زوج أستعيره، لكن لم أجد سوى فردة واحدة، وليس زوجاً حتّى!"

فأجبته قائلاً: "لا حاجة إلى أن أضع جواربي في أيّ مكان بنيّ، لأنني لا أملك سوى زوج واحد ألبسه الآن، وآخر إضافي أحتفظ به للحالات الطارئة. أنا ألبس الجوارب نفسها كلّ يوم حتّى تبلى، وإنْ حدث أن تمزّقَتْ يوماً فردة منها، أرميها على الفور لاستبدالها تلقائياً بفردة جديدة. لذا لم تجد سوى فردة واحدة في دُرج خزانتي".

والسؤال جرّ السؤال، حتّى اضطررْتُ لإخباره عن حذائي أيضاً. فأطلعته أنني لا أملك سوى زوجي أحذية متطابقيْن تماماً. ولسنوات طويلة، لم أبدّل نوعيّة الحذاء الذي أنتعله ولا حتى شكله. وعندما يبلى حذائي، كنتُ أستبدله بالزوج المحفوظ لدي، وأضع الآخر في علبته الأصليّة، وأرسل سائقي إلى المتجر نفسه ليشتري لي حذاءً آخر مطابقاً للقديم بالشكل واللون والحجم.

كنتُ أحب الوحدة، وأتجنب الاختلاط مع الآخرين – لذا لم أدعُ أحداً إلى بيتي يوماً بدوافع اجتماعيّة. فلقد كانتْ حياتي تقتصر على العمل والنساء والبرامج التلفزيونية، حتّى إني لم أحضر زفاف أيّ من أولادي، ولم أحضر مراسم دفن أخي – كانت البرامج التلفزيونية أهم بالنسبة إلي. لم يكنْ للحياة العائلية ولا حتى للأبوة معنى في حياتي. إلا أنه نشأتْ صداقة بيني وبين ابني لأنه كان مستعداً دائماً لسماع أخبار مغامراتي التي لا تنتهي إنْ في العمل أو مع النساء. لطالما استمتعْتُ برفقته، إذ كان في الحقيقة صديقي الوحيد. إن ضجرت من إحدى الصديقات، وأردْتُ استبدالها بأخرى أكثر إثارةً – (ما كان يحصل غالباً) – كان هو الذي يسرع لتعزيتها ومواساتها في محنتها. حتّى إنّ اثنتيْن من عشيقاتي هددتاني بالانتحار إنْ تركتهما. أذكر حادثة تلقيْتُ فيها اتصالاً لن أنساه أبداً. هددتني إحدى صديقاتي، وهي في ثياب الزفاف، بأن تتناول حبوباً سامة وتموت في سريري، فيما هددتني أمّها أيضاً بأن تلقي بنفسها في النهر المنبسط في آخر حديقتي – واحزر ماذا فعلْتُ؟ نعم، اتصلْتُ ب"وليد"، فأخرجني من تلك الورطة!

كنتُ صعب المراس، متعالياً، عنيداً وقاسي القلب – فماذا تتوقّع من شخص بهذه المواصفات؟

الفصل الخامس

تبدّل مفاجئ في مسار الأمور

نصحت "وليد" بالثبات على العزوبية، لكنه تزوّج وانتقل للعيش في منزل مجاور لمنزلي، وبقيت أراه كل يوم كما جرَتْ العادة. كانتْ أموري كلّها تسير بشكل رائع واستطعت أن أوفّق بين العمل، وصديقاتي وإبني، إلى أن طرأ أمر عكّر صفو حياتي...

لمسْتُ عند "وليد" تحولاً تدريجياً، وجذرياً في آن واحد. بدأتْ تصرّفاته، وطباعه، وطريقة كلامه تتغيّر. كان يستمتع بالإصغاء إلى أحاديثي ومغامراتي في السابق، وكانت نكاتي تضحكه وكنا نمرح سوياً! لكن تبدّلت الأحوال. وبدأ يغيب عني شيئاً فشيئاً.

كيف يُعقل هذا؟ ماذا حصل يا تُرى؟ كنتُ كلما رأيته، أجده هادئاً، وسعيداً، ومرتاحاً. فأصبحْتُ أنا مَنْ يدير دفة الحديث، ولم أعُدْ ألقى منه أيّ تجاوب حتّى.

وفي أحد الأيام، فيما كنا في السيارة، قال لي كلاماً صدمني. بدأ حديثنا على النحو التالي:

–أبي، إعذرني، لا يمكنني أن أسمع قصصك بعد اليوم

–لماذا؟ هل توجد مشكلة؟

–لقد تغيّرْتُ، ولم أعدْ أحتمل الاستماع إلى قصصك بعد الآن...

–لماذا؟ هل قررْتَ أن تصبح كاهناً؟

–لا، بل قررتُ أن أتبع يسوع! لم أعدْ ذاك الإبن الذي تعرفه. منذ أن اختبرت يسوع، تغيرت تماماً

–ماذا تقصد؟ ولمَ قد يمنعنا ذلك من المرح سوياً؟

–لن تفهمني الآن، لكن أرجو وأصلي أن تفعل يوماً ما.

زرعَ هذا الحديث الإضطراب في نفسي. فلم يعد إبني كسابق عهده، ما أقلقني جداً. ومنذ ذلك الحين، لم يكفّ "وليد" عن إخباري عن يسوع – وغالبًا ما كانتْ أحاديثنا تنتهي بمشاحنات عنيفة. قال إني بلا يسوع، سأهلك في الجحيم إلى الأبد.

سألته: "لماذا؟ وما السوء الذي أرتكبه؟ فأنا رجل صالح. لم أؤذِ أحداً في حياتي. فهل يدينني الله لأنني خرجْتُ مع هذه الفتاة أو تلك؟ إنه هو مَنْ خلقنا هكذا."

كان "وليد"، عندما يسمع إجاباتي، يهزّ برأسه حزناً ويغادر.

بدأت علاقتنا تفتر شيئاً فشيئاً، لكن في قرارة نفسي، كنتُ أشعر بالارتياح لأننا لم نعد نتشارك المنزل نفسه. فلقد كان صديقي الوحيد قد أصبح عبئاً عليّ.

وعلى الرغم من تصلبي، ظلّ إبني لسنتيْن متتاليتيْن يصلّي لأجلي بلا تخاذل.

وكم حاول أن يقنعني بتسليم حياتي ليسوع والإيمان به، لكني رفضت.

كنتُ حالةً صعبة، عرفْتُ هذا، وابني عرف هذا، والله أيضاً عرف هذا...

الفصل السادس

قلب متحجّر يأبى أن يلين

كان إبني يحضر اجتماع صلاة في بيت كلّ أسبوع. وذات مساء، سأله قائد الاجتماع:

"لماذا لا تدعو "البابا" لمشاركتنا في الإجتماع المقبل؟"

فأجاب إبني بعفوية تامة وبلهجة جدية:

"مَنْ تقصد؟ "بابا" الفاتيكان؟"

إذ كان مدركاً في قرارة نفسه أنّ إمكانية حضور "البابا" الإجتماع تفوق إمكانية حضوري أنا إياه.

فكان صدي الدائم له ورفضي لله قد أحبطا عزيمته. لكن ذات يوم أراه الروح القدس رؤيا بعد يوم كامل من الصلاة والصوم. فأسرع إليّ قائلاً:

"كنتُ أصلي البارحة، وشاهدت رؤيا. شاهدت سفينة مزدحمة بالناس تبحر مسرعةً في النهر. فوقفت ونظرت إلى أسفل وإذا بالنهر يفيض تحت قدمي والسفينة تطوف على سطح الماء. نظرْتُ إلى السفينة، فوجدْتُ جمعاً من الناس يضحكون ويحتفلون، غير مدركين إلى أين هم متجهون. وإذ ألقيْتُ نظرة عن كثب، رأيتكَ بين الجموع. ورأيت السفينة تتّجه نحو هاوية، وفي أسفل الهاوية الجحيم. كانتْ السفينة متجهة نحو الجحيم، ولم يلاحظ أي من ركابها ذلك. وبقيادة من الروح القدس،

رحْتُ أتشفّع وأصلي لك بالروح قائلاً:

"آه، يا يسوع!! آه، يا يسوع!!.. وبقيتُ على هذه الحالة لحوالى نصف ساعة...

لم أصلّ بهذه الحرارة في حياتي قطّ..."

أزعجتني تلك القصة وأقلقتني، لكني بقيت رافضاً تسليم حياتي لله.

قلْتُ ل"وليد":

"إسمع. أنا مستعد أن أغيّر حياتي، وأن أتخلّى عن كلّ صديقاتي، وأن أكتفي بالفتاة التي أعيش معها الآن."

"لكنْ يا أبي، لا يمكنك أن تفرض شروطاً على الله. ليست هذه صفقة مصرفيّة."

فأجبتُ: "لا أوافقك الرأي."

ولم ييأس إبني. بل بذل كلّ ما في وسعه ليقنعني بمدى حاجتي إلى يسوع. قال لي إنّ يسوع مات لأجلي ليمنحني حياة أبديّة، ويطهّرني من خطاياي، ويعطيني حياةً جديدة. لكني رفضت أن أسلّم حياتي لله.

ولما لم تأتِ جهود "وليد" بأيّ نتيجة، قرّر أن يغيّر استراتيجيّته.

فتوقف عن إخباري عن المسيح بطريقة مباشرة، وحاول إقناعي بمشاهدة بعض الأشرطة المسيحيّة لأنني كنتُ مدمناً على مشاهدة التلفاز. كان يختار الوقت المناسب، عندما يراني

قد ضجرت من كل القنوات، ليأتيني بإحدى أشرطة الفيديو خاصّته. كان يختفي بحجّة ما في بداية العظة، غير تارك لي أي خيار سوى مشاهدة شريطه، فيما كان ينصرف هو للصلاة لأجلي في مكان آخر – حتّى في المرحاض أحياناً!

كان يحاول أن يرهبني بواسطة تعاليم عن نبوّات تتعلّق بالاختطاف ونهاية العالم. أراد أن أعرف ما سيحل بالأشخاص الذين لن يجدهم يسوع يؤمنون به عند عودته في نهاية الأزمنة. أراد أن أعرف أنهم سيمضون الأبديّة في نار الجحيم لأنهم رفضوا يسوع، والخلاص الذي وهبهم إياه.

لكني بقيت أعاند. كنتُ مقتنعاً بأنّ الجحيم ليس سوى قصّة خرافيّة تخيف الضعفاء. ولما فشلَتْ استراتيجيّته هذه، تحوّل تركيزه إلى أشرطة المعجزات والشفاءات التي تحدّت عقلي البشري وتفكيري المنطقي.

لكن أذهلني "بيني هين" الشهير، الذي يكرز بالشفاء الإلهي. لا سيما وأني كنت أشهد، في كلّ مؤتمر، عدداً هائلاً من المعجزات يحصل أمام عشرات الآلاف من الناس. كنتُ أتساءل: "أيُعقل أنّ ما من أحد قد كشف خدعه بعد– لأنها لا بدّ أن تكون خدعاً؟ كيف عساه يخدع هذه الجموع الغفيرة وينجو بفعلته؟ لم تكن أفكاري تختلف عن أفكار أيّ إنسان غير مؤمن...

لم أدرك حينئذٍ أنّ وليد كان يعدّني لاستراتيجيّته الجديدة. فذكر أمامي أنّ "بيني هين" سيقيم مؤتمراً في "إيرلز كورت" في لندن.

– أبي، "بيني هين" قادم إلى لندن، أتود مرافقتي إلى مؤتمره؟

وكم تفاجأ حين أجبت:

"نعم، بالطبع أرافقك. أريد أن أكشف خدع هذا الرجل."

ذهبت إلى المؤتمر في سيارتي المرسيدس يقودها سائقي الخاص. وفيما جلس إبني على مقعد في الخلف، توجهْتُ أنا مباشرةً إلى المقاعد الأماميّة. ومن بين ثمانية عشر ألف مقعد، اخترْتُ أفضل مقعد في الصفّ الأمامي في الوسط.

كانتِ الصفوف الخمسون الأولى مخصّصة للرعاة والوعاظ والضيوف، لكني لم أعبأ بهم جميعاً. كنتُ مصمماً على الجلوس في الصفوف الأمامية– أولاً لأني كنتُ معتاداً على الجلوس دائماً مع ضيوف الشرف، وثانياً، لأني أردْتُ أن أكون على أقرب مسافة ممكنة من ذلك الواعظ كي أثبت لنفسي ولابني أنّ هذا الرجل مخادع.

كان إبني في الخلف يلهو مع أصدقائه فيما راح منظمو المؤتمر يقنعونني بإيجاد مقعد آخر في الخلف. لكنني رفضْتُ رفضاً قاطعاً.

قلْتُ: "يجب أن أبقى هنا."

فذُهلوا ودهشوا وربما ظنوا أني متكلم مهمّ... وبعد عشرين دقيقة من المفاوضات، ولما احتاروا في أمري، حجزوا لي أحد أفضل المقاعد في الصفوف الأمامية.

وبدأ المؤتمر. وقف "بيني هين" على المنصّة قبالتي. ولما أنهى عظته وحان وقت الصلاة لأجل المرضى، نزل عن المنصّة، وتوجّه مباشرةً إلى الصفّ الذي كنتُ جالساً فيه، وراح يصلي بوضع اليد على الجالسين عن يساري وعن يميني.

فشعرْتُ بإحراج كبير، ليس لأنه كان بالقرب مني، بل بسبب آلات التصوير التي ملأت المكان. تملّكتني فكرة واحدة: ماذا لو رآني أحد معارفي على التلفاز؟ وماذا لو ظهرَتْ صورتي في نشرة الأخبار الصباحيّة؟ ها أنا جالس في المقاعد الأمامية أحضر مؤتمراً شفائياً– وكانت تلك المؤتمرات تلقى انتقاداً لاذعاً من قبل وسائل الإعلام في ذلك الحين. من بين مئات الصفوف، وآلاف المقاعد، لم يختَر الراعي إلا صفي أنا ليصلي فيه! وفيما كنت أحاول الاختباء من آلات التصوير، بدأ الناس من حولي يقعون أرضاً أو على الكراسي، تحت تأثير قوّة الروح القدس.

وفجأةً، وجدْتُ نفسي أحاول التقاط الناس فيما هم يقعون أرضاً. أليس الربّ مدهشاً؟ جئتُ خصيصاً لأكشف خدع "بيني هين"– فوجدت نفسي ألتقط الناس في تلك الليلة. لم أنتبه للأمر حينئذٍ– لكنّ كان الله يحاول التقاطي تدريجياً.

وانتهى المؤتمر، لكنّي كنت لا أزال غير مؤمن بالمسيح

(بعد بضع سنوات، تعرفت على "بيني هين"، وأتاح لي فرصة الكلام مرارًا عدة أمام عشرات الآلاف من الأشخاص في كل من بلجيكا، وفرنسا، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة لكي أخبرهم عن شهادتي).

الفصل السابع

عمل الربّ في حياتي

في أحد الأيّام، نجح "وليد" في ربح إحدى صديقاتي للمسيح.

صلّى معها، فسلمت حياتها ليسوع، ومنذ ذلك الحين، تغيرت حياتها تغييراً جذرياً.

فجاءَتْ إليّ قائلةً:

"جورج، لا يمكنني أن أقيم علاقة جنسيّة معك خارج نطاق الزواج بعد الآن. فإمّا أن نتزوج، أو أن نكون مجرد صديقين."

نمت صداقة بينها وبين "وليد" وزوجته. كانوا ينسجمون جداً– كانوا يصلون معاً، ويسمعون الأشرطة معاً... فوجدت نفسي أعيش مع مجنونيْن تحت سقف واحد!

فثارت ثائرتي!

وكنتُ أنتهره بسلطة أبويّة قائلاً: "كيف تجرؤ على هذا؟ لمَ لم تتركها وشأنها؟" فلقد سبب لي فقدانها جرحاً في كبريائي لا يلتئم – إذ كانتْ الأولى والوحيدة التي رفضتني!

في أحد الأيّام، واجهْتُ مشكلة كبيرة، وأصبحْتُ فجأةً ضحيّةً للإبتزاز على يد شخصٍ استأمنته على جميع أسراري. فلقد أدّت بي حياتي الآثمة المصبوغة بالشهوة والشغف وحبّ المغامرات إلى إقامة علاقة مع امرأة تشغل منصباً حساساً

جداً. كانتْ علاقتنا دقيقة جداً، لذا كان يجب أن تنمو في الخفاء. أوشكت تلك السيدة على تدمير حياتي المهنيّة برمّتها. فأصبحَتْ مهنتي وسمعتي على المحكّ، وإسمي عرضة للعار في وسائل الإعلام، إذا ما أفصحَتْ عنه. كيف عساها أن تنقلب ضدي بهذه السهولة؟

ومَنْ لي سوى "وليد" في محنة مماثلة؟

"بنيّ، حلّتْ بي كارثة... لقد قُضي عليّ!"

فرويت له قصتي بتفاصيلها. فأجاب:

"أبي، لقد حذّرتكَ ممّا قد يحلّ بك عندما تعطي الشيطان مكاناً في حياتك. لكن هذه فرصتك الأخيرة. فهل تسلم حياتك ليسوع إنْ أخرجكَ من هذا المأزق؟"

ولشدة يأسي، قلْتُ: "أجل!"

–هل أنت مستعدّ للتخلّي عن جميع صديقاتكَ لأجله، بلا أيّ استثناءات، إنْ حلّ لك مشكلتك؟

–أنا مستعدّ

وعندما عقدْتُ هذا الاتفاق مع الله، بدأ "وليد" يصلّي لأجلي بصوتٍ عالٍ:

"أيّها الآب السماوي، لقد سمعْتَ أبي. أصلّي باسم يسوع أن تلمس تلك السيدة التي تسبب له المتاعب. أرجوك أن تدفعها إلى تغيير رأيها وسحب تهديداتها. أصلي يا ربّ، عندما يتصل بها والدي في غضون دقائق، أن تجيبه بطريقة لطيفة وبلهجة

مسامحة."

وفيما أنا أحدّق به باستغراب، بدأ يصلّي بلغة غريبة. وبثقة تامّة، طلب مني أن أتّصل بها. فتوجهتُ نحو الهاتف مرتعداً:

وحصل ما لم يكنْ في الحسبان. أجابتني بكلّ لطف وبلهجة مسامحة.

لم تستغرق المكالمة إلا بضع دقائق كانت كافية لأتخلص من كابوسي!

لم أصدّق أذنيّ. كان الأمر معجزة هزت كياني وقلبتني رأساً على عقب.

وعلى الفور، واحتراماً مني للاتفاق الذي كنت أقمته مع الله، جثوْتُ على ركبتيّ. فوضع إبني يديْه على رأسي وقادني في الصلاة الخلاصيّة فصليتها من كل قلبي.

وبدموع، سلمت حياتي ليسوع. جثوْتُ على ركبتيّ خاطئًا، ونهضْتُ مغسولاً بدم يسوع. شعرْتُ بقوة تملأني. كما لو أنني استيقظْتُ من كابوس دام طويلاً. غمرتني راحة غريبة، وسلام لا يوصف، وفرح عارم – لم أستوعب حينئذٍ ما يحصل لي. كل ما فيّ بدا مختلفاً. وعرفت وتيقّنت من أن خطايا قد غُفرت.

فجأةً، أصبح يسوع حقيقياً جداً بالنسبة إليّ، والصليب طاهراً جداً...

سألْتُ إبني: "ماذا يحصل لي؟"

فأجابني: "لقد أصبحْتَ خليقة جديدة. لقد أصبحت الآن في المسيح، كما يقول الكتاب المقدس.

إذاً، إنْ كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضَتْ. هوذا الكلّ قد صار جديداً." (٢ كورنثوس ٥: ١٧)

هذا ما عناه يسوع عندما قال إنّ لا أحد يقدر أن يرى ملكوت الله ما لم يولد ثانيةً، ما لم يولد من جديد. وهذا ما كنتُ أحاول أن أشرحه لك طوال السنتيْن الماضيتيْن يا أبي."

قبل أن أسلّم حياتي ليسوع، كانتْ كلمة: "أحمق" محطّ كلامٍ عندي، ولا بد أني نعتّ إبني بالأحمق مئات المرات منذ أن أصبح مسيحياً ملتزماً...

لكنْ بعد أن لمسني الله في ذاك اليوم، وإذ وقفْتُ مغموراً بدفء الروح القدس، والدموع تسيل على خديّ، سألْتُ إبني:

"مَنْ من أولادي لم يولد ثانيةً؟"

"الجميع مخلّصون، ما عدا إبنك البكر مروان".

أجبته: "كم هو أحمق! يسوع حقيقيّ. هو الحق وليس سواه.

لن أنسى أبداً تلك اللحظة في حياتي. إن الله رحوم جداً.

"قصبة مرضوضة لا يَقصِفُ. وفتيلة مُدخّنة لا يُطفِئ. حتّى يُخرجَ الحقّ إلى النّصرة". (متى ١٢: ٢٠)

الفصل الثامن

بداية حياة جديدة

منذ أن نلْتُ الخلاص في ذلك اليوم، بدأتُ أختبر تغييرات جذريّة في حياتي.

نزع الله قلبي المتحجّر، ووضع مكانه قلباً من لحم. ملأني بروحه الذي علّمني أن أسلك في سبل الله. أنا، الذي لم أبكِ عند موت أبي حتّى، وجدْتُ نفسي أذرف دموع الراحة والفرح. لقد أخضعني الروح القدس لمرحلة تطهير وتحرير وشفاء داخلي. وامتلأت فرحاً وضحكاً لسنتين. صرت أضحك في البيت، وفي العمل، وفي السيّارة مع "وليد" – ما أثار إستغراب السائق... – ماذا جرى للرئيس!! – فتغيّرت الأجواء تماماً في طريقنا إلى العمل.

لم نعُدْ نقرأ الصحف، وكُسرَتْ أوامر التزام الصمت. في الواقع، تحول الصمت إلى فرح وضحك... واختبرت مراراً الضحك بالروح القدس، فلم أستطعْ التوقف عن الضحك لساعات طويلة، حتّى إنني كنتُ أقع أرضاً تحت تأثير قوّة الروح القدس. وكنت أجد نفسي محرجاً في المصرف، في مناسبات مختلفة، فاضطر إلى احتجاز نفسي في مكتبي ساعات طويلة إلى أن أتوقف عن الضحك.

بعد بضعة أيّام، وفيما كنتُ وحدي في البيت، تعمدت بالروح القدس، وبدأت أتكلم بألسنة.

ولم أقدر أن أتوقف عن تسبيح الله وعبادته.

كان زواري في البيت يقتصرون على سائقي، صديقاتي، وابني "وليد". أما الآن فأصبح يزورني مؤمنون آخرون وأصدقاء إبني، الذين يأتون ليمضوا أوقاتاً رائعة في الصلاة والعبادة والشركة معنا. وكان أصدقاء "وليد" الذين لم يلتقوا بي من قبل ينذهلون عندما يجدون رجلاً مختلفاً جداً عن ذاك الذي وصفه لهم "وليد". فكنت أصلي وأباركهم وأتنبأ لهم فيما كانوا ينطرحون أرضاً تحت تأثير الروح القدس.

وجدْتُ نفسي فجأةً في عالم مختلف تماماً. سرعان ما نمت في داخلي مشاعر جديدة. وبدأت أحب الناس... كان الله يعمل فيّ بصورة جذرية وسريعة.

إختباري مع أندريه:

بعدما نلْتُ الخلاص بأيّام معدودة، سمعْتُ بالصدفة أنّ إحدى صديقاتي السابقات تُحتضر لإصابتها بداء السرطان. كنت أعرفها منذ عشرين سنة، لكننا كنا نتقابل نادراً. عندما علمت بمرضها، شعرْتُ بضرورة إخبارها عن المسيح قبل أن تموت. أنا الذي لم أكلّف نفسي عناء حضور مراسم دفن أخي، أو مشاركة أبنائي فرحة زواجهم، أو ذرف دمعة حزن على موت أبي، صرخْتُ قائلاً:

– وليد! آندريه تُحتضر وهي لا تعرف الرب. عليّ أن أراها... كيف تخبر الناس عن المسيح؟ علّمني!

فلخّص لي "وليد" الإنجيل بثلاث صفحات، وفي الصباح التالي، استقليت أوّل طائرة متوجّهة إلى باريس. عندما قرأتُ ما كتبه وليد، رحْتُ أبكي بلا انقطاع، ولم تكف إحدى المضيفات عن سؤالي مستفسرة:

– هل من خطب سيّدي؟

فأجيبها: لا، أنا سعيد جداً

لن أنسى تلك الرحلة ما حييت. فلقد كانت كلّ كلمة قرأتها بمثابة إعلان لي. أصبحَتْ كلمة الله حيّة جداً بالنسبة إلي. فهمت في حب الكتاب المقدّس، بل أكثر، في حبّ يسوع.

عندما وصلتُ إلى المستشفى، وجدتُ "آندريه" مستلقية على الفراش. لم يكن يمكن التعرف عليها، إذ كان شعرها قد تساقط كلّه.

قلْتُ لابنتها: "ستصعد أمّكِ إلى السماء"

وعندما لم ألقَ من ابنتها وخطيبها سوى ابتسامة سخرية، أمسكْتُ يد "آندريه" ووضعْتُ يدي الأخرى على رأسها. كانت قد بلغت مرحلة متقدمة من المرض، ففقدت نطقها، لكنها كانت تسمع قليلاً. فأخبرتها عن يسوع. وقلت لها إنها تحتاج إلى قبول يسوع ربّاً ومخلّصاً لها. كانتْ تعرف ماضيّ حقّ المعرفة، فعلمت كم كنتُ صادقاً في تلك اللحظة. بعد ذلك، قلت لها:

– آندريه، أعلم أنك عاجزة عن الكلام، لكنني أرجو أنكِ تسمعينني. سأتلو الصلاة الخلاصيّة بصوتٍ عال. وبما أنّكِ

عاجزة عن الصلاة بصوت عالٍ، سأصلي نيابةً عنكِ. إنْ كنتِ توافقين على ما أقول، أي إنْ كنتِ ترغبين في تسليم حياتكِ ليسوع، أومئي برأسكِ إيجاباً!

فأومأتْ "أندريه" برأسها إيجاباً، وبدأت الدموع تنهمر على خدّيْها. في اليوم التالي، دخلَتْ في غيبوبة، وما لبثَتْ أنْ وافَتْ الله إلى السماء.

عندما عدْتُ إلى لندن في اليوم التالي، لمسني الله بنعمة جديدة.

شعرْتُ بفرح عارم يستقرّ في قلبي، دفعني إلى الهتاف:

- وليد! يا لهذا الشعور الرائع! يا لهذه الفرحة اللذيذة!..

ولازمني هذا الشعور الجميل لعدّة أيّام. عرفْتُ أنه ليس سوى نموذجاً صغيراً عما سنختبره في السماء. قال لي الله: "أمضيتَ حياتك كلها سعياً وراء الملذات، لكن ماذا عن اللذة التي أعطيك إياها؟" كل الملذات الأرضية التي اختبرتها لا تساوي شيئاً مقارنة بفرح الرب.

كانتْ "آندريه" أوّل مَنْ كرزت لهم، لكنْ ليس الأخيرة، إذ اكتشفْتُ تدريجياً أنّ الله كان يحوّل ذاك المصرفي القاسي إلى مبشّر! منذ بداية خلاصي، استخدمني الله لأربح الكثيرين ليسوع المسيح.

كان الناس، كل يوم تقريبًا، يرددون ورائي الصلاة الخلاصيّة. لا سيما سائقي سيارات الأجرة.

لقد حفظْتُ عهدي مع الربّ. ولم أقمْ علاقة مع أيّ امرأة منذ ذلك الحين، مع أنني، بعد نيلي الخلاص، بدأت أتلقى اتصالات هاتفية وزيارات من فتيات حاولْتُ مواعدتهنّ عبثاً في السابق. لم يكنْ الشيطان يوماً بهذا النشاط في محاولاته لإفشال عهدي مع الله. وأذكر أنّ إحدى الفتيات جاءَتْ إلى بيتي، وحاولتْ إغرائي في غرفة النوم. كنتُ في الرابعة والستين من عمري وهي في الثالثة والثلاثين. لقد أغرتني كثيراً لكن الله ذكّرني بعهدي معه، فأبعدتها صارخاً: "لا!!".

الفصل التاسع

خليقة جديدة

قبل سنة من التزامي بالمسيح، جاءَتْ حماة "وليد" لزيارة ابنتها في إنكلترا. ومع أنّ وليد كان قد تزوج ابنتها قبل سنوات طويلة، وسكنا في الشقة المقابلة لشقتي، وقد مكثَتْ معهما لبعض الوقت، فأنا لم ألتق بها قطّ.

وفي مساء يوم جمعة، وفيما رحْتُ أعدّ الشامبانيا والإضاءة والموسيقى قبل وصول إحدى صديقاتي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معي... وقعَتْ الكارثة! نظرْتُ إلى المرآة الكبيرة المعلّقة على جدار غرفة الجلوس، وإذ بي أصاب بصدمة! لقد نسيت الصبغة على شعري وحاجبيّ أكثر من الوقت اللازم، فاسودّ لونها كثيراً وصرت أشبه إحدى شخصيات الرسوم المتحركة.

فأسرعت إلى شقّة "وليد"، وقرعْتُ بقوّة على الباب:

– وليد، إفتح الباب! إفتح لي بسرعة!

ففُتح الباب، واستقبلتني حماة "وليد"... فأسرع "وليد" ليعرّفني إليها:

– أبي، إليك والدة ليليان.

– تشرفنا.

قلْتُ هذا ثمّ دخلْتُ مباشرة فيً صلب الموضوع:

– بالمناسبة سيّدتي، هلا تساعديننـي على تخفيف لون حاجبيّ. لا بدّ أنكِ تجيدين ذلك. الأمر طارئ، فستصل صديقتي في أيّ لحظة، ولا يجوز أن تراني بهذا المظهر – أسرعي أرجوكِ!

وقبل أن تدرك حماة "وليد" ما يحصل، راحت تجول في أرجاء البيت بحثاً عن المستلزمات الضروريّة لترتيب حاجبيّ.

كان هذا أوّل لقاء لي بها، وما هي إلا أيام حتّى غادرَتْ لندن عائدةً إلى لبنان، مع ذكريات لن تنساها أبداً...

بعد سنة، وفي الفترة نفسها تقريباً، عادَتْ إلى إنكلترا في زيارة ثانية. وكنتُ قبل وصولها قد نلْتُ الخلاص وتغيرت جذرياً.

كنتُ أحضر مؤتمراً للروح القدس عندما تقدّم إليّ راعٍ لا أعرفه قائلًا:

– يا أخي، أرى الآن في رؤيا أنّ يسوع واقف قبالتك حاملاً سيفاً بيده وهو يسألكَ إنْ كنتَ تقبل بتسلّمه منه؟"

فأجبت: "نعم، نعم، وسأستخدمه بحكمة".

فوضع الراعي يده اليمنى على صدري، وبدأ يرتجف وارتفع صوته بالصلاة بالألسنة. فأخذْتُ السيف منه بشكل نبوي وعانقْته. وأثناء عناقنا هذا، رحْنا نرتجف ونبكي فرحاً غير مدركيْن ماذا يجري لنا تحديداً.

لقد غمرني شعور مدهش ومقدّس، تعجز الكلمات عن وصفه...

من خلال تلك الرؤيا، أراد الله أن يسألني إنْ كنتُ أقبل أن أحمل سيفه إلى العالم. أي إنْ كنتُ أريد أن أنقل كلمته إلى العالم.

لقد غسلني من خطاياي، وهو يسألني الآن إن كنتُ مستعداً لخدمته.

– نعم، يا ربّ، هآنذا أرسلني!

بعد هذا الاختبار العظيم، أسرعتُ إلى شقة إبني، ورحْتُ أقرع بقوة على الباب، تماماً كما فعلت قبل سنة حين تعرفت على حماته– أما الآن فكان الأمر مختلفاً. فتحَتْ لي الباب هي أيضاً. فأسرعتُ إلى غرفة الجلوس حيث يجلس "وليد" وزوجته وأخوها ورحْتُ أصرخ:

"لدي سيف، لدي سيف! لقد أعطاني يسوع سيفاً، ووعدْتُ بأن أستخدمه بحكمة."

كنتُ كولدٍ متحمس جداً نتيجة حصوله على هدية مفاجأة من أبيه، يريد أن يخبر العالم كله بالأمر، ورحْتُ أعظ لهم...

"اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ"

في اليوم التالي، جثتْ "حماة" وليد وابنها على ركبهما وقبلا المسيح. أما أخو زوجة "وليد"، الذي لم يلتقِ بي من قبل،

والذي يعرف عن ماضيّ، فقال لوليد: "إنْ كان إنسان كوالدكَ يتكلّم هكذا، فلا بدّ أن ما يؤمن به حقيقي– لا سيما أنه بدا شفافاً ومقتنعاً..."

لقد صلّى "وليد" وآمن بأني سأنال الخلاص، لكنه لم يتوقع كل هذا...! وبعد مرور يوم على نيلي الخلاص، قال لأصدقائه:

"إنْ توفي والدي قريباً، فأنا مطمئن، لأنني أعلم أنه مخلّص"

وظنّ أنّ القصة انتهت هنا، واطمأن لأني نلت الخلاص – لكن لم تكنْ هذه إلا البداية...

الفصل العاشر

من المصرف إلى كلية اللاهوت

تدريجياً، بدأت أشعر بأن حياتي في المصرف أصبحت لا تُطاق. وسرعان ما تبيّن لي أنّ جوّ عملي لا يتلاءم مع إيماني. وكم حاول الشيطان بشتّى أنواع الأساليب أن يهاجمني!

فبعد ثلاثة أسابيع من قبولي المسيح، وقع إشكال بيني وبين مجلس الإدارة الذي انقلب ضدّي، ما أدّى إلى فصلي وفسخ عقد عملي، فطعنت في قرارهم أمام المحكمة.

إذاً، في غضون شهر واحد، خسرْتُ عملي وأصدقائي وصديقاتي ومدخولي.

في تلك الفترة، عرّفني إبني على كنيسة "كينغدوم فايث" في هورشام، إنكلترا، وسرعان ما التحقت بكلية اللاهوت هناك، وأنا في الخامسة والستين من العمر. كان الله يحوّل ذاك المصرفي العنيد المتكبر إلى خادم أمين يستخدمه لمجده. ووجدْتُ نفسي أسكن في غرفة صغيرة بعد أن عشت في أفخم البيوت والفنادق طيلة خمس وعشرين سنة...

لكني اختبرْتُ فيها سعادةً لم أعرفها في بيوتي السابقة...

وانتقلت من حياة الثراء والسلطة إلى الخدمة في الكافيتيريا التابعة لكلية اللاهوت. فكنت أغسل الصحون، وألبي متطلبات العمل... ومع ذلك، كنتُ أدفع المال لقاء هذا الامتياز!

ذات مرة، وبعد يوم طويل من المحاضرات، كنتُ أعمل في المطبخ في خدمة الزوار القادمين من الخارج. وابني، الذي كان برفقتهم، لم يصدّق عينيْه حين رآني أنا أقدم له الطعام في الكافيتيريا.

لكن السعادة التي اختبرتها أثناء الخدمة في الكافيتيريا لم أعرفها حين كنتُ أسكن في البيوت الفخمة والفنادق الراقية.

كان الله يثبت لي تدريجياً أنّ السعادة لا تكمن في الأسس الثلاثة التي بنيْتُ عليها حياتي: **المال والسلطة والنساء.**

الفصل الحادي عشر

قضية المحكمة

فيما كنتُ بعد في كلية اللاهوت، غادر "وليد" وعائلته إنكلترا وعاد كمرسل إلى لبنان. فزرع كنيسة هناك وأصبح راعياً لما يُعرف اليوم بكنيسة "ملك الملوك" في لبنان.

وبدلاً من أن أبقى في لندن لأتابع قضيّة المحكمة، أرسلني الله إلى كلية اللاهوت في الريف البعيد. لم أكنْ معتاداً على هذه الحياة، لم أكن معتاداً على عدم التحكم بالأمور كلها من حولي. لكن الله أراد أن يعلّمني أن أثق به.

خلال السنة التي أمضيْتها في كلية اللاهوت، عمل الله على صقل شخصيتي، وكلّمني بواسطة نبوّات وأحلام ورؤى بشكل خاص. حتى إنّه كلمني مرة بصوت مسموع وناداني باسمي.

سأذكر بعض الرؤى والنبوات التي كلّمني من خلالها:

توضيح: *في ما يتعلق بالأحلام والرؤى. يتعامل الله مع كلّ واحد منا بشكل مختلف. نعم، يعد الكتاب المقدّس بأننا سنرى رؤى وأحلاماً، لكني اكتشفْتُ بعد الخبرة أنّ بعض الناس يرون رؤى وأحلاماً أما البعض الآخر فلا يراها على الإطلاق أو يرى القليل منها. لماذا؟ لا أعرف السبب تحديداً.*

أؤمن شخصياً أنّ في حالتي، تعامل الله معي بطريقة خاصّة – ربّما لأنه كانت لي دعوة خاصة أو لأني كنت رجلاً متسلطاً

وعقلانياً وعنيداً.

وأؤمن بأنّ علينا امتحان كلّ حلم ونبوة ورؤيا على ضوء كلمة الله – أي الكتاب المقدّس – بالاستعانة برجال الله المقتدرين.

على المرء أن يرفض على الفور كلّ رؤية لا تتطابق مع كلمة الله، ولا تلقى تأكيداً من قبل رجال الله.

من خلال النبوات والرؤى والأحلام نقدر أن نعرف بعض المعرفة. بالإضافة إلى ذلك الشيطان حاضر دائماً ليضلّل المؤمنين من خلال رؤى وعلامات وعجائب مزيفة.

إلا أن وجود المزيف يؤكد وجود الحقيقي. لذا يجب علينا أن نكون على قدر عال من الخبرة والنضوج الروحي لنرفض المزّيف ونصدّق الحقيقي.

إن الرؤى والأحلام التي تأتي من الله تكون بركة كبيرة!

القاسم المشترك بين معظم الرؤى في حياتي:

- *غالباً ما تأتي في أوقات صلاتي أو أثناء فترة العبادة الجماعيّة.*

- *عندما تأتي الرؤيا، أستطيع أن أراها سواء كانتْ عيناي مفتوحتْين أو مغمضتْين.*

- *يصعب عليك كثيراً أن تصفها بدقة بتعابير بشرية.*

- *نجوم تلمع، سحب بيضاء، مياه تترقرق، شعاع نور، مجد الله، هذه كلها تظهر تقريباً في كل رؤيا.*

في ما يتعلق بقضيّة المحكمة: صلّيْتُ، وصرخت للرب، وبكيْتُ عند قدميْه لشدّة الحزن الذي سببه لي جميع أصدقائي وزملائي السابقين. كنتُ قد ولدْتُ ثانيةً قبل أشهر قليلة، وكنت قلقاً جداً بشأن قضية المحكمة ومستقبلي. فتكلّم إليّ الله من خلال نبي لا يعرفني ولا يعرف شيئاً عن حالتي:

نوفمبر ١٩٩٦:

"من خلالك، هدمت حصوناً كثيرة في وقت ظننتَ فيه أنك على شفير الهاوية. وعلى الرغم من التحديّات التي تواجهها، أنا أعطيتك نعمة لئلا تخزى في يوم الضيق لأنني أنا الربّ إلهك.

لقد أعلنت لك عن ذاتي، أنا الله الذي هو فوق كلّ الأشياء.

أنت تصارع وتتعذب في داخلك صارخاً لي: "يا ربّ! أريد أن أقترب منك، إلا أني أشعر بثقل في داخلي يمنعني من الاقتراب منك." لكنني أقول لك الآن إنّ أيّامك الآتية ستكون أعظم من أيّامك السابقة. فأنا سأعتني بأيّامك الآتية.

تقول لي أيضاً: "يا ربّ، أنا لا أنكر أنّك رفعتني وأكرمتني وهدمت حصوناً من خلالي وأبعدت جميع أعدائي، لكنْ ثمة أمر واحد بعد يا رب. لم أعد أملك الحيويّة والإندفاع والدقة في العمل كما في السابق، وإنْ لم تتدخّل، فسأتزعزع."

لكنني أقول لك إني عالم بمعاناتك وها أنا أقطع لكَ وعداً: سأرد لك النشاط الذي فقدته وسألمسك لمسة مميزة جداً. يهدد الشيطان بزعزعة استقرارك، لكنّ مخططه لن ينجح أبداً.

أنظر إليّ، فأريك يميني التي تحامي عنك لأنني أنا القاضي العادل. ثق بمحبتي. سوف أبرئك لكن بعد فترة من الوقت."

مرت الأيام، ولم تكنْ الأمور في المحكمة تسير لصالحي إذ خسرت جلستيْن. فشعرت بالمرارة في داخلي ورفعت شكواي إلى الله فكلمني مجدداً من خلال نبي:

"أعلم أنك تعرضت لإجحافات كثيرة بسبب حقدك تجاه زملائك السابقين. لكني أقول لك: مع أنّ الشيطان نجح إلى حدّ ما في إلحاق أذى كبير بك، فأنا سأعوّض لك وأثبت لك أني أنا هو الربّ، أنا هو إله التعويض.

سأبرهن لك أنّ الأمور ستتغير نحو الأفضل لا الأسوأ."

بعد مرور بضعة أيّام على هذه النبوءة، تلقيْتُ رسالةً من مسؤول رفيع الشأن في المصرف حيث كنتُ أعمل. وقد أُرفق المغلّف بمغلف آخر مختوم، مع رسالة قصيرة كُتبت بخطّ اليد جاء فيها:

"**ظننت أنك قد تحتاج إلى هذه لتتلفها بنفسك!**

مع أصدق التمنيات."

هذه الوثيقة (مع أنها سريّة وشخصيّة) كانتْ لتقع بين أيدي خصومي فيستخدمونها كدليل قاطع ضدّي في المحكمة، فأقع في أزمة لا خلاص منها.

علماً أنّ خصومي هؤلاء لم يوفروا أيّ وسيلة للتدقيق في أوراقي وملفاتي المحفوظة على جهاز الكمبيوتر الخاصّ بي، بحثاً عن معلومات مماثلة.

كانت تلك الوثيقة في المغلّف المختوم تثير قلقي بشدة حينئذٍ. وكنت قد أمضيْتُ شهوراً طويلة وأنا أصلي طالبًا من الرب أن يخفي تلك الوثيقة عن أنظار خصومي.

قال الربّ إنه سيبرهن لي أنه هو الربّ، وأنّ الأمور ستتغير نحو الأفضل – وهكذا فعل!

ما إنْ فتحْتُ الرسالة، حتّى جثوْتُ على ركبتيّ أمجّد الربّ وأشكره.

وما هي إلا فترة قصيرة، حتّى أكّد لي الله ما جاء على لسان النبي من خلال رؤية شخصيّة:

الإثنين في العاشر من حزيران عام ١٩٩٦: (من مذكراتي)

فيما كنتُ في غرفتي، نظرْتُ إلى السماء فرأيتُها فجأة مكتسية بالنجوم. وراحت أشعة من نور تتراقص وتتلألأ فوق رأسي مالئة السماء. ورأيت سحابة.

كان الجوّ رائعاً ومدهشاً وشعرت بفرح عظيم.

حاولت أن أدوّن ما يحصل، لكن فجأة حلّ علي روح الفرح وبدأت أضحك بالروح القدس فوقعت على الأرض ولم أعد أقوى على الوقوف.

ملأت أضواء كثيفة الغرفة وفاضت عليّ بنورها. أنوار جميلة جداً.

لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك.

وسمعْتُ في روحي صوتاً قائلاً: "ستربح قضيّة المحكمة!"

وكنت لا أزال منطرحاً أرضاً، لا أقوى على الوقوف لشدّة الضحك.

فتوقفْتُ لحظة فقط لأشكر الربّ قائلاً: "أشكرك يا يسوع لأنك كلّمتني مباشرةً وأكّدت لي أنني سأربح قضيّة المحكمة."

في تلك الليلة، بقيتُ أضحك على مدى ساعتيْن وسط النجوم والأنوار والسحب... والمجد...

بعدما نقّاني الله وعلّمني ألا أتكل على المال، بدأ يضع في قلبي رغبة لم أتوقعها قطّ. أراد أن أزرع في كنيسته جميع التعويضات التي سأحصّلها بعد أن أربح قضيّة المحكمة، فتعهدت بأن أهبها جميعها له.

وأخيراً، أبرأني الله وأكرمني، فربحْتُ القضيّة بمعجزة وحصلْتُ على تعويض قيمته حوالى خمسمئة ألف باوند استرليني، أي ما يعادل سبعمئة وخمسين ألف دولار أميركي.

فوفيت له بعهدي، وزرعت كلّ ما حصّلته من قضيّة المحكمة في الملكوت.

الفصل الثاني عشر

صراع كبير

التزمت بالعهد الذي قطعته أمام الرب، وامتنعت عن إقامة علاقات جنسية خارج إطار الزواج، وتخليت عن جميع صديقاتي. لكن قلت: "يا رب، أنا أعيش في صراع. لقد قطعت لك هذا الوعد، لكن الالتزام صعب جدًّا. فأنا لم أتجاوز سن ال٦٥ ولم أفقد الرغبة في أن أكون مع امرأة. ليس الذنب ذنبي، فأنت خلقتني هكذا. والآن، أنا أريد حلًّا. هذه مسؤوليتك أنت! لم أعد أحتمل. من فضلك، جِد لي زوجة سريعًا. أريد أن أتزوج تلك الشابة الجميلة التي عرفتُها في الماضي." فهي تبلغ ٣٥ سنة من العمر، وهذا الفارق في العمر يناسبني تمامًا. رفعت طلبتي إلى الرب في الصلاة. لكن الرب لم يُجِب. فقلت له: "أنا أدرك جيدًا أنها ليست مؤمنة. لكن يا رب، استخدمني لكي أجعلها تؤمن بك، ومن ثم أتزوجها. بهذه الطريقة، أكون قد أرضيت الطرفين." وواظبت على الصلاة بلا انقطاع، لكن هذه المرة أيضًا، لم أحصل على جواب.

عندئذٍ، رفعت طلبتي مجددًا إلى الرب، وقلت: "أنا أعلم أن لا شيء يؤكّد أنها ستؤمن بك. لكن ما رأيك في هذه الشابة الأخرى؟ إنها تدرس في كلية اللاهوت، وهي إبنة لك. والأهم من ذلك كله هو أنها متشفعة، وبالتالي هي نافعة تمامًا للخدمة. سنخدمك نحن الاثنان معًا، وسنكون شهادة رائعة لاسمك. لذا، يا رب، أنا أسألك أن تجعلها زوجة لي. صحيح

أنها أكبر سنًّا من الأخرى، لكن لا مشكلة في الأمر. حتى إن كان عمرها ٣٧ سنة، أنا أقبل بها." هذه المرة أيضًا، صلّيت بحرارة، ولم أحصل على أي جواب من الرب. عندئذٍ، قلت له: "أنا أفهم من خلال صمتك هذا أنك تريد مني أن أكون شجاعًا. تريد أن أقوم بخطوة إيمان جريئة. حسنًا، لا بأس في الأمر." وفي تلك الليلة، فارق النوم عينيّ لشدة تفكيري في الفرحة التي تنتظرني في اليوم التالي. وفي اليوم التالي، ذهبت لرؤيتها وقلت لها: "لقد كلمني الرب قائلًا إنك ستصبحين زوجتي." فرمقتني بعينيها الزورقاوين مذهولةً وقالت: "جورج، لقد أراني الرب الرجل الذي سيصبح زوجي. وهذا الرجل ليس أنت!"

فجُرح كبريائي في الصميم، خصوصًا وأنه قليلًا ما كان أحد يرفض لي طلبًا في الماضي. مع العلم أني في السابق كنت قد تحاججت مع الرب قائلًا: "يا رب، أريد أن تريني الزوجة التي اخترتها لي من خلال كلمتك." وما إن فتحت كتابي المقدس حتى وقعت عيناي على سفر ملاخي ٢: ١٤ "**مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَبَابِكَ الَّتِي أَنْتَ غَدَرْتَ بِهَا وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَامْرَأَةُ عَهْدِكَ**." وشعرت في قلبي بأن الرب يكلمني قائلًا: "إرجع إلى امرأة شبابك، أمّ أولادك الأربعة التي هجرتها وطلّقتها منذ ٣١ عامًا." فصرخت قائلًا: "ماذا؟!! لا! لا! لا!" ورحت أطرد تلك الفكرة من ذهني وأغلقت كتابي المقدس. ثم عدت لأجرّب شتى أنواع الطرق، وقرعت أبوابًا كثيرة، لكنها أُغلقت كلها في وجهي باستثناء باب واحد. في النهاية، وبعد ٣١ سنة من الانفصال والطلاق، تزوجت مجددًا امرأة شبابي، أمّ أولادي. تزوجنا في ٣١ مارس/آذار ١٩٩٩

في مبنى البلدية في بريطانيا. بعد ذلك، تمت مباركة زواجنا في كنيسة "كينغدوم فايث" (Kingdom Faith) في "هورشام".

هكذا جمع الله شمل عائلتنا. واليوم، معظم أولادي مع عائلاتهم يخدمون الرب في لبنان. وقد سُرَّت ابنتي "زينا" بأن تحضر حفل زواجي، وبأن تكون الإشبينة، علمًا بأني لم أكن قد حضرت حفل زواجها. بهذه الطريقة، حوّل الله صراعًا كبيرًا إلى عائلة مجيدة لأجل مجد اسمه، ولكي يبارك الكثير من الأشخاص.

الفصل الثالث عشر

دعوتي

كلمني الله برؤى كثيرة، وفي غالبيّتها كنتُ أرى نجوماً، لكنْ هذه المرّة، عشْتُ اختباراً غريباً جداً:

كلّمني الله في مناسبات عدة، من خلال رؤى ووسائل أخرى، لكي يعلن لي أنه يدعوني قبل كل شيء للخدمة في الشرق الأوسط والعالم العربي. لكن كانت هذه الدعوة تتعارض تمامًا مع رغبة الجسد لدي.

الثالث من ديسمبر ١٩٩٦

يا بنيّ، أقول لك إنني راضٍ عنك. أنت تُبهج قلبي. اسمع ما سأقول لك. كنْ دائماً كالأطفال. ستصبح محارباً عظيماً، لكن عليك أن تكون دائماً مثل الأطفال. يشبه الأمر وجهَي العملة. عليك أن تتمتع بالوجهين. كن دائماً كالطفل، تعال واجلس في حضني، تعال واتكئ على صدري، تعال واختبر محبّتي. تعال واجلس في حضني قدر ما تشاء، تعال إلي كالطفل. وإذ تأتي، سأجعلك أداة عظيمة بين يدي، وأستخدمك بين إخوتك. لكنْ عليك أن تأتي إليّ كطفل وأن تكبر. إسمح لي بأن أجعل منك محارباً عظيماً. أنا راضٍ عنك جداً يا بنيّ، وأريد أن أقول لك إنك تسلك في الطريق الصحيح الذي سيؤدّي إلى تتميم مقاصدي في حياتك. تابع سيرك في هذا الطريق، فتتمم

مقاصدي لك، والأعمال التي أعددتها خصيصاً لك.

رؤيا في لبنان:

إحدى الرؤى الأكثر وضوحاً التي شاهدتها في لبنان كانت يوم تجمع حوالى مئة مؤمن ممتلئ من الروح القدس للخروج في نزهة وإقامة اجتماع صلاة في وقت واحد. كنتُ أشاهد هذه الرؤى في إنكلترا عادةً، لكنّ هذه المرة شاهدتها في لبنان – وبأوضح صورة ممكنة. كنتُ هناك مع بعض اللبنانيين المؤمنين الممتلئين من الروح القدس، وعددهم قليل.

لما بدأنا بالتسبيح والعبادة، ملأ حضور الله المكان، رأيْتُ وعيناي مفتوحتان السحابة نفسها والمياه نفسها، لكنْ بالإضافة إلى ملايين الأشجار هذه المرة. وفجأةً، تحوّلَتْ الأشجار إلى أضواء وانتشرَتْ بسرعة في أرجاء السماء متخذةً أشكال نجوم راحتْ تمطر أنواراً فوق المنطقة كلها.

علمت حينئذٍ، بل كنت على يقين أنّ هذه الرؤى تتعلّق بالشرق الأوسط. أصبحت النهضة في الشرق الأوسط والعالم العربي وشيكة. سيخلص أناس كثر في هذه المنطقة من العالم، وسيقيم الله محاربين أشداء من لبنان، ويرسلهم إلى أرجاء المنطقة. (ثلاثمئة مليون نسمة في هذه المنطقة لم يسمعوا بالإنجيل قطّ).

بكيْتُ عند قدميْه:

شاهدتُ هذه الرؤيا بعد سنوات قليلة من تخرّجي في كلية

اللاهوت، وبعد أنْ عشت صراعاً في لبنان خلال تلك السنوات. كنتُ في شقّتي في باريس أبكي عند قدميْه. ورحت أصرخ له وأسأله عن الوقت العصيب الذي أمر به بدون أن أرى أي ثمر، وبدأت أذكّره بالرؤى والوعود الأهداف. وقلت له:

"يا رب، سأظلّ راكعاً على ركبتيّ، أبكي عند قدميْك، حتّى تكشف لي عن معنى تلك الرؤى اليوميّة التي أشاهدها."

فأجابني قائلاً:

السادس عشر من فبراير عام ٢٠٠٠:

كنتُ أبكي عند قدميْه وفي نفسي توق شديد إلى سماع صوته... وإذا بي أشاهد الرؤيا المعتادة: نجوم، سحابة بيضاء، مياه رقراقة أكثر نقاوة من أي وقت مضى، ثم بدأ الرب يكلم قلبي قائلاً:

النجوم التي تراها، تمثّل النفوس التي ستخلص من خلالك. والسحابة هي روحي الذي سيرافقك على الدوام.

والمياه الرقراقة تمثل التنقية، لأني سأقوم بتنقيتك.

وقد كلمني الرب حينئذٍ برؤى أخرى أنعشتني وشجعتني كثيراً.

الفصل الرابع عشر

مغامراتي مع يسوع

تخرّجْتُ في كلية اللاهوت ممتلئاً إيماناً وغيرة لله. لم أدرك يوماً كم عمل الله فيّ وغيّرني إلى أن غادرْتُ الكلية. لقد دعاني الله إلى لبنان، وهذا أمر أعرفه. لكن كان عليّ في تلك المرحلة أن أتنقل بين أوروبا ونيويورك ولبنان لأصفي الأمور العالقة من حياتي السابقة (كبيع منزلي في إنكلترا مثلاً) قبل أن أستقرّ نهائياً في لبنان.

في تلك الفترة، تعلّمْتُ أن أسلك بالمعجزات، فقمت بتطبيق ما تعلمته. وبدأت حيثما تواجدتُ، أقود الناس إلى الربّ. لم يمرّ يوم من دون أن أعرّف شخصاً على الأقلّ إلى يسوع. وبدت مسحة الكرازة واضحة في حياتي.

إليكم بعض اختباراتي في الكرازة:

رجل دين بريطاني مرموق يقبل المسيح:

عرضت بيتي في "تويكنهام" للبيع مع أثاثه، فبدأ الناس يتوافدون إليه بشكل يومي، لا سيما وكلاء العقارات والراغبون في الشراء؛ ومن بينهم رجل دين مرموق جداً.

في سياق حديثنا عن البيت، عرّفني إلى نفسه قائلاً:

أنا الأب فلان الفلاني، رئيس مؤسسة القديسة كاثرين الملكية التي تأسست في العام ١١٨٤. عملت في حقل الخدمة طوال ٣٠ سنة، وتربطني علاقة مباشرة برئيستي، الملكة الأمّ للمملكة المتحدة.

فرددتُ قائلًا:

- لا، ليست الملكة الأم هي رئيستك! يسوع هو رئيسك!

–ولما أدركتُ أنه لم يولد ثانيةً بعد، وضعْته أمام تحدٍّ. قلْتُ له: "أنت تخدم في حقل الكهنوت منذ ثلاثين سنة، لكني أرى أنه ليس لك علاقة شخصية مع يسوع. أمّا أنا فأعرف يسوع منذ سنة واحدة. هيا بنا نتناقش إلى أن يقنع أحدنا الآخر مَنْ منا يسلك في الحقّ."

وبعد جدال طويل، قدته في الصلاة. فرفع يديْه إلى السماء ومجّد يسوع! ثم وضعْتُ يديّ على رأسه وصلّيْتُ لأجله لكي يغيّر الله حياته. ثمّ تابعنا التفاوض بشأن ثمن المنزل.

عرض عليّ في بادئ الأمر مبلغ أربعمئة وأربعين ألف باوند، لكنني رفضْتُ قائلاً: "لا! قال لي الربّ: أربعمئة وستون ألف باوند". وفي وقت لاحق، اتصل بي عبر وكيله العقاري عارضاً عليّ مبلغ أربعمئة وخمسين ألف باوند، وكان جوابي: لا! قال الربّ أربعمئة وستين ألف باوند". فوافق أخيراً على دفع المبلغ المطلوب.

في ذاك المساء، كلمني الله برؤيا رائعة، فانطرحْتُ أرضاً ورحْتُ أضحك – وعلمتُ حينئذٍ أنّ الربّ راضٍ عني.

عائلة لبنانيّة تقبل المسيح:

بعد فترة قصيرة من لقائي مع رجل الدين، قرع لبنانيان بابي. كانا قد قرآ اللافتة التي كُتب عليها: "مُباع"، لكنهما صمما على شراء بيتي.

استخدم جورج وحُنيْن كافة الألاعيب اللبنانيّة (التي كنتُ متمرساً فيها قبل قبولي الخلاص!) ليقنعاني بأن أفسخ العقد مع "رجل الدين الإنكليزي الغريب" وأبيعهما البيت، كونهما لبنانيين مثلي. فعرضا عليّ سعراً أعلى من الذي طلبته، وقالا لي إنهما سيتكفّلان بأتعاب الوكيل أيضاً... وبهذا أكون تصرفت بكل وطنية. لكني أجبتهما في كلّ مرة: "لا، لن أرجع عن كلامي. وقد علّمنا يسوع: "فليكنْ كلامكم نعم نعم، أو لا لا". إذاً لا! لن أتراجع عن وعدي له أبداً."

ورحت أخبرهما عن المسيح.

ولما وقفت عند الباب لأودعهما، أخذ جورج يدي وقبّلها قائلاً لي:

"أنا أؤمن بك!"

فانتهرته في الحال قائلاً:

"حاشا أن تفعل هذا! مَنْ أنا لتقبّل يدي؟ لا تقبّل يد إنسان،

أياً كان!"

فأجابني: "أقصد أني أؤمن بالله الذي تعبده أنت."

سلّم جورج وحُنيْن حياتهما للمسيح، وأصبحنا من أعزّ الأصدقاء. وبدأا يزورانني بانتظام – مصطحبيْن في كلّ مرة شخصاً جديداً جاء ليقبل المسيح في قلبه. وفي أحد الأيّام، جاءا لزيارتي مع إحدى قريباتهما واسمها زينة وولديْن صغيريْن في الرابعة والخامسة من العمر. وطلبا أن نشرب القهوة. فأجبت: "لا! الخلاص أولاً، ثمّ نشرب القهوة لنحتفل." فأخبرْتُ زينة عن يسوع، وما هي إلا دقائق حتى قبلت المسيح ورددت الصلاة الخلاصيّة.

ثمّ توجهْتُ بالكلام إلى الفتاة والصبي الصغيريْن وسألتهما إنْ كانا يريدان أن يقبلا المسيح في قلبيْهما. لكن أصابهما الجمود والصمت ولم يتفوها بكلمة. فجثوْتُ على ركبتيّ وصليت: "أيّها الربّ الحبيب! هذان الولدان الجميلان هما ولداك المباركان، إلمسهما باسم يسوع."

ثم قادني الروح القدس لأعرض عليهما بعض الحلوى. "أتريدان الحلوى؟". وتوجهت إلى المطبخ لأحضر الحلوى، وإذا بالفتاة الصغيرة تلحق بي. فسألتها: "أتريدين أن تقبلي يسوع في قلبكِ؟"

فأجابَتْ: "نعم". ورددتْ الصلاة الخلاصيّة، ثم قدّمت لها قطعة حلوى.

ثم لحق بنا الصبي الصغير وردد هو أيضاً الصلاة الخلاصية.

وفيما كنت أعدّ القهوة بفرح عظيم لنحتفل بالخلاص، سمعْتُ موسيقى رائعة من صوب غرفة الجلوس. ما هذه الموسيقى يا تُرى؟ فالآلة الموسيقية الوحيدة التي أملكها في البيت هي بيانو قديم اشتراه "وليد" قبل أن ينال الخلاص لقاء تسعين باونداً فقط، وباعني إيّاه بمئتيْ باوند محصلاً أرباحه من والده.

فتوجهتُ إلى غرفة الجلوس واعتراني الذهول وجميع الحاضرين عندما رأيْنا تلك المعجزة: كان الولدان يعزفان على البيانو. لم أسمع في حياتي موسيقى بهذه الروعة. كانتْ موسيقاهما سماويّة بالفعل، وغمر مجد الله غرفة الجلوس في ذاك اليوم.

في غضون أسبوعيْن، ومن خلال هذه العائلة بالذات، نال إثنان وعشرون شخصاً الخلاص، وما زلْتُ أحتفظ بهذا البيانو العتيق في بيتي في لبنان كتذكار. وقد أصبح اليوم مبعث ابتهاج لأحفادي الذين يستمتعون بالعزف عليه.

الفصل الخامس عشر

المزيد من المغامرات مع يسوع!

متسوّل ومحامٍ فرنسي رفيع الشأن يقبلان المسيح

في آخر يوم لي في باريس قبل أن أعود إلى لبنان، ذهبْتُ لأشتري الجريدة والمثلجات كعادتي. كنتُ أمشي في الشارع حين لفت انتباهي متسوّل متشرّد. كان جالساً على الرصيف، كأيّ متسوّل آخر، مع فارق وحيد وهو أنّ قدمه كانتْ تنزف، وبدا أكثر حزناً وبؤساً من غيره من المتسولين.

فتوقفْتُ للحال وجلسْتُ بقربه على قارعة الطريق فيما أكمل هو التسوّل:

– ما بكَ؟ لمَ أنتَ حزين؟

– حزين! لو استطعْتُ فقط أن أتمسّك بذاك المجرم...!

– لماذا؟ ماذا فعل لك؟

– جاء البارحة مدّعياً أنه صديق لي، وجلس قربي. وعندما رأى حالة قدمي، استغلّ الوضع وسلب المال الذي جمعته طيلة النهار وهرب به. أمّا أنا فبقيت مكاني عاجزاً عن اللحاق به...هذا..."

كان لدى ذاك المتسوّل هدف واحد في الحياة ، هدف واحد لا غير

– الإمساك بالمجرم والانتقام منه. فرحْتُ أخبره عن محبّة الله وغفرانه، قائلاً له: "أنت محبوب. يسوع يحبّك."

وفي ختام حديثنا، رفع صوته وسامح ذاك المتسوّل الذي سرقه، وردد ورائي الصلاة الخلاصيّة، وهو يجهش بكاءً، وسلّم حياته للربّ. وبالرغم من رائحته الكريهة، ونَفَسه وقدمه النازفة، تعانقنا بحرارة.

كان شعوري في تلك اللحظة يفوق كلّ وصف؛ أدركت آنذاك كم أن يسوع يكنّ محبة خاصة للمتسوّلين!

وعندما هممْتُ بالرحيل، همس الروح القدس في أذني قائلاً:

– ألم تنسَ شيئاً؟

فأجبته: "نعم، يا ربّ". ورجعْتُ أدراجي، أفرغْتُ جيابي وأعطيته كلّ ما كان بحوزتي من مال، وكان المبلغ أكبر بكثير من الذي فقده في اليوم الفائت.

وعندما عانقته مرّةً أخيرة لأودّعه، همس الروح القدس مجدداً في أذنيّ قائلاً:

– عليك أن تفعل أمراً أخيراً بعد.

فأجبته: "نعم، يا ربّ". فأوصاني بشراء الكتاب المقدّس لذاك المتسوّل.

وإذ لم يتبقَ معي أي مال، قصدْتُ المصرف لأسحب بعض المال، ثمّ توجهت إلى أقرب مكتبة واشتريْتُ له الكتاب المقدّس. وفي طريقي إلى الصندوق للمحاسبة، خرج رجل

أنيق من الصفّ وأخذ دوري. وإذ شعر بالذنب، إستدار نحوي قائلاً: "أنا آسف، لكنني مستعجل جداً."

وأكمل دفع حسابه.

فأجبته: "لا تقلق أبداً. خذْ وقتك، فأنا لسْتُ على عجلة من أمري."

فاستدار مجدداً وعلامات الإستغراب بادية على وجهه قائلاً: "أيُعقل هذا؟ لم أعلم أنّه يوجد بعد أشخاص مثلك في باريس!"

فسألته: "أتريد أن تعرف ما السرّ في ذلك؟"

أجابني: "نعم، بالطبع."

فقلْتُ له: "إدفع إذاً وانتظرني خارجاً."

وفجأةً، لم يعُدْ مستعجلاً.

أمضينا وقتاً طويلاً معاً نشرب القهوة، ثمّ دعاني إلى بيته. واتّضح لي أنه محام ثري متقاعد. وللحال أصبحنا صديقيْن، وصلى لاحقاً الصلاة الخلاصية. ففي نظر الله، لا فرق بين الغني والفقير، المشهور والمنبوذ – جميعنا في حاجة إلى يسوع. أمضيت وقتاً طويلاً مع المحامي، فعدْتُ لأجد المتسوّل قد غيّر مركزه الإعتيادي. لكنني وجدْته في يوم آخر متحمساً للربّ، وأعطيته الكتاب المقدّس. كم رائعة هي خدمة الله!

أين اختفَتْ المسحة؟

أصبح ربح النفوس للمسيح عادةً روتينيّة لديّ. وكان سائقو سيارات الأجرة المفضلين لديّ. علماً بأن التواصل مع البعض منهم في إنكلترا صعب جداً، إذ هناك نافذة تفصل بين الراكب والسائق، والمسافة التي تفصل بين مقعد الراكب المواجه للسائق والسائق نفسه كبيرة جداً. فإنْ أردْتَ التحدث إلى هذا الأخير، عليك أن تجلس على المقعد الأقرب إليه، وتنحني لتسأله أن يفتح النافذة التي تفصل بينكما. وليست هذه بالمهمّة السهلة. ومع ذلك، كان سائقون كثر يتوقفون على يسار الطريق، في نهاية الرحلة. ثمّ يترجلون من السيارة ليجلسوا قربي في الخلف، ويتلوا معي الصلاة الخلاصيّة ويسلّموا حياتهم ليسوع.

لا أعلم لِمَ كنتُ ممسوحاً لهذه الدرجة مع سائقي سيّارات الأجرة. أذكر أنني في إحدى زياراتي الأخيرة إلى المملكة المتحدة، وبعد فترة طويلة من استقراري في لبنان، أوقفْتُ سيارة أجرة ورحْتُ أكلّم السائق. وفجأةً، أعطاني الروح القدس كلام معرفة له، فقلْتُ له:

"جئتُ من لبنان لأقول لك إنّ يسوع يحبّك وهو يريد أن ترجع إليه."

وما هي إلا دقائق، وإذ وصلْتُ إلى وجهتي، حتى ركن "فريدي" السيارة على جانب الطريق، وجلس بقربي، وبدموع حارة سلّم حياته للمسيح. وبعد فترة قصيرة، في زيارة أخرى إلى إنكلترا، إتصلْتُ ب "فريدي" ليقلّني من المطار، بما أنه أصبح واحدًا من أبنائي الروحيين الآن.

وفي الطريق، قال لي:

"جورج، منذ سنوات كنت أحبّ الله، وكنتُ أدرس اللاهوت بنيّة أن أصبح كاهناً. وفجأةً توفّي والدي، وتبعته أختي. فحزنْتُ جداً وشعرت بمرارة تجاه الله حتّى إني قلْتُ له: "يا ربّ، بالنسبة إلي، أنت غير موجود. لا أريد أي علاقة بك." وها قد مرت سنوات عدة على ذلك. لكنْ قبل أسبوعيْن من لقائي بك، كنتُ أمرّ بظرف عصيب، فصليت قائلاً: "يا ربّ، إنْ كنتَ موجوداً، وإنْ أردتني أن أعود إليك، أعطِني علامة."

وقد أعطاني الله تلك العلامة يوم التقيْتُ بك للمرّة الأولى وقلْتَ لي:

"جئتُ من لبنان لأقول لك إنّ يسوع يحبّك وهو ينتظر عودتكَ إليه."

بالرغم من إدراكي التام أنني مبشر، أصبْتُ بالغرور في أحد الأيّام، فكان على الله أن يلقنني درساً. كنتُ أكرز لسائق سيارة أجرة، وكانتْ صديقة مؤمنة جالسةً بقربي. كنتُ فخوراً جداً بنفسي، وعندما أصبح السائق مستعداً لقبول المسيح في قلبه، نظرْتُ إلى صديقتي الجالسة قربي وقلْتُ لها: – "أنهي الموضوع."

ما إن قلت هذه الكلمات، حتّى تغيّر الجوّ الروحي فجأةً، وفقد السائق كلّ اهتمام بالخلاص. على مدى أسبوعيْن، شعرْتُ بجفاف روحيّ... ولم أربح أي نفس للمسيح. لقد فارقتني المسحة. ولم أعد أجد الكلام المناسب – كان الأمر رهيباً.

سألت الرب عن السبب، وعلى الفور ذكّرني الروح القدس باليوم الذي أحزنته فيه إذ سلكت بالجسد.

فجثوْتُ على ركبتيّ، وبكيت وتبت عن افتخاري وغروري وأنانيتي؛ فعادت إلي المسحة. ومنذ ذاك الحين بدأت أحرص على عدم إحزان الروح القدس لأنني لست شيئاً من دونه. فكنتُ مستعداً لزيارة أيٍّ كان، في أيّ وقت، وفي أيّ مكان، لأخبره عن يسوع.

في تلك الفترة، كان الربّ يدرّبني ويعلّمني. ليس فقط من خلال الرؤى والأحلام والكرازة بل من خلال الخلاص والشفاء أيضاً.

فلقد تحرر أشخاص كثر من الأرواح الشريرة بإظهار عظيم وتقيّأوا إذ وضعْتُ يديّ عليهم.

الخنجر الخفي:

ذات مرة كنتُ أعظ عن الحرب الروحية في كنيسة أفريقيّة في لبنان، وكانتْ قوّة الله حاضرة بشكل عظيم ذاك اليوم. وكان بين المتقدّمين للصلاة ساحر يبكي وينوح. وبعد الإجتماع مباشرةً، ذهب هذا الأخير لمقابلة الراعي في مكتبه، وقام باعتراف رهيب:

"عندما وجّه القس جورج الدعوة لقبول يسوع، سمعْتُ الله يقول لي بكل وضوح:

إنْ لم تتُبْ الآن وتهبني حياتك، فستموت على الفور.

فتقدمت إلى الأمام وتبْتُ عن أعمالي وسلّمت حياتي ليسوع.

وفجأةً، خلع الرجل ثيابه، فذُهل الراعي إذ رأى رجلاً عارياً في مكتبه. لكنْ قبل أن يقوم بأيّ ردّ فعل، أدخل الساحر يده إلى داخل جسمه وأخرج خنجراً من معدته من دون أن ينزف حتّى، ثمّ سلّمه للراعي قائلاً له:

"بواسطة هذا الخنجر، قتلْتُ كثيرين..."

بعد سنوات:

فيما كنتُ في صدد تأليف كتابي هذا، قرّرْتُ أن أدرج فيه صورة خنجر الساحر.

وبما أنني كنتُ قد صورته بواسطة آلة تصوير فيديو، قصدْتُ أستديو خاصّ في باريس لأستخرج بعض صور الخنجر من الشريط.

حضّر "جيروم"، التقنيّ المسؤول، كلّ آلاته وثبّت الشاشة على صورة الخنجر.

بدا كلّ شيء بخير، لكن حين ضغط على الزرّ، لم يحصل شيء. لم تعمل آلة الطباعة... لم أحصل على أيّ صورة!

حاول مجدداً ومجدداً علّه يحصل على نتيجة...

ذُهل "جيروم" وقال: "غير معقول، لم يحصل هذا معي من قبل، كلّ الآلات تعمل جيداً."

فأجبته: "لا تندهش لأنّ المشكلة روحيّة. أترى على الشاشة هذا الخنجر الذي يحمل نقشاً غريباً؟ إنه أداة شيطانيّة."

ثمّ أخبرته قصّة الخنجر.

"أنظر! الشيطان يحاول أن يمنع ظهور صورة ذاك الخنجر في كتابي كشهادة على مجد الله. سأصلّي الآن باسم الرب يسوع المسيح، وسيسير كلّ شيء بشكل رائع مجدداً. أتؤمن بهذا؟

فأجابني: "لا، أنا ملحد."

تجاهلْتُ إجابته، ووضعْتُ يديّ على الآلات ورحْتُ أنتهر الشيطان باسم يسوع. لكنْ يا للدهشة! لم يحصل شيء.

فراح "جيروم" يغيّر آلات التصوير، ويبدّل الآلات من دون نتيجة. وكان يضغط على الزر من دون جدوى.

ذُهل "جيروم" لتعطّل آلاته المفاجئ، وكان ذهولي أكبر عندما لم ألقَ أيّ استجابةٍ لصلواتي.

بدّل هو آلاته مجدداً، وصليْتُ أنا مجدداً، لكن فشل كلانا.

وفيما كنت أصلي، لفت انتباهي برنامج غير لائق يُعرض على شاشة تلفاز منفصل.

فتوقفْتُ عن الصلاة، واستدرْتُ نحو "جيروم" قائلاً له:

"إسمعني جيّداً، الأمر روحي، ولن يجديك نفعاً أن تبدّل آلاتك. وحدها قوّة الله تكسر هذه اللعنة. لكنّ لن يتدخّل الله وسط جوّ ملوّث بالخطيئة والقذارة. أطفئ جهاز التلفاز، وستعمل آلاتك

مجدداً."

أطفأ "جيروم" جهاز التلفاز، وعلى الفور عملَتْ آلاته، وحصلنا على الصور أخيراً.

يا للهزيمة التي مُنيَ بها الشيطان يومذاك! ويا لبهاء مجد يسوع! ويا لروعة أن يهب "جيروم" الملحد حياته ليسوع على الفور!

معارضة غير عادية

أنا أكرز بكلمة الله بدون مساومة. لا أخشى إنسان، ولا يحرجني البشر، ولا يزعجني من يشعرون بالإحراج بسببي. همّي الوحيد هو مخافة الرب، وشوقي هو أن أخدمه بكل طاعة، حتى إني أوبّخ إبني حين يشعر بالإحراج بسببي. هذا هو تعليقه على هذا الأمر:

تعليق وليد:

كنت كلما أرافق والدي للخدمة، أشعر بتبكيت كبير وأتوب، لأن الرب يعمل دائمًا على تحريري من حكمة البشر.

ذات يوم، رافقت والدي لزيارة ابن عمّي، علمًا بأن والدي لا يقوم بزيارات اعتيادية روتينية. فهو لا يزور أحدًا إلا بهدف الخدمة، وإلا فهو يلازم غرفته دائمًا، ولا يخرج منها إلا لحضور اجتماع الصلاة يوم الأحد في الكنيسة التي أتولى رعايتها، وحيث تجده في نهاية المطاف يتقدم إلى الأمام للخدمة، سواء

طلبت منه ذلك أو لم أفعل. فبما أنه والدي، لم يكن بإمكاني أن أرفض له هذا الطلب.

إذًا، رافقت والدي في الزيارة، لكنْ اعترضَنَا هناك من كان قد صمَّم على منعنا من ربح ابن عمي وصديقه للرب. والمضحك المبكي هو أن هذه المعارضة لم تصدر عن رجل غير مؤمن أو شخص ملحد متعصب، كما يحدث عادةً، وإنما عن كلب ابن عمي.

ما جرى هو أنه لما وصل أبي إلى مرحلةٍ جَعَلَنا فيها أنا وابن عمي وصديقه نقف معه للصلاة– مع العلم أن والدي يطلب من كل شخص يقوده في الصلاة الخلاصية أن يجثو على ركبتيه. لكن في بعض الحالات النادرة، كان يكتفي بأن يقف ويمسكوا بأيدي بعضهم البعض. ذات يوم، كان أبي على وشك أن يتلو الصلاة الخلاصية مع أحدهم عبر الهاتف، وهو أمر يفعله بشكل اعتيادي وشبه يومي، ولما طلب منه أن يجثو على ركبتيه أجابه: "لا يمكنني فعل ذلك." فقال له والدي بلجهة جدية: "ولِمَ لا؟" فأجاب: "لأني داخل الباص". وكان هذا الاستثناء الوحيد، على حد علمي. لا مجال للمساومة مع أبي– في ذلك اليوم، في منزل ابن عمي، وبينما كان أبي على وشك البدء بتلاوة الصلاة الخلاصية، بدأ كلب ابن عمي بالنباح بطريقة غريبة جدًا. وعاود الكرة ثلاث مرات. ما إن كان والدي يطلب منا أن نغمض عيوننا ونردد الصلاة الخلاصية بعده، حتى يبدأ الكلاب بالنباح. وبعد أن تكرر الأمر ثلاث مرات، لم يعد والدي يقوى على الاحتمال، فعرفت جيدًا ما سيفعله. ولم أجرؤ على فتح عيني، لكني شعرت

بيده تفارق يدي حين قال لنا: "إبقوا واقفين، سأعود بعد بضع ثوانٍ".

وإذا به يوبّخ الكلب وجهًا لوجه، بسلطان وقوة لم يسبق لهما مثيل. قال: "لقد أعطانا الله سلطانًا عليك (باسم يسوع)، آمرك بأن تبكم (باسم يسوع)." ثم عاد لينضم إلينا مجددًا، وأنا لم أجرؤ على فتح عينيّ لشدة الإحراج. عندئذٍ، شعرت أنا نفسي بضرورة ترداد الصلاة الخلاصية بعد والدي بالقرب من ابن عمي وصديقه. وأنا لا أعلم حتى اليوم ما إذا كان ابن عمي وصديقه قبلا الرب بدافع الخوف أو التبكيت. وفي طريق العودة إلى البيت، سألت والدي: "لماذا فعلت ذلك يا أبي؟ أنا متأكد من أن ابن عمي وصديقه لم يفهما ما فعلته." فأجاب: "لكن من كان يجب أن يفهم قد فهم."

جولتي اليومية

كلما ذهبت إلى باريس، كنت أشرب قهوتي في المقهى نفسه، وأشتري الخضار من المتجر نفسه. كنت أحب جولتي اليومية لأني كنت أغادر البيت متوقعًا أن أتمكن من ربح شخص للمسيح. لا يتوقف الرب أبدًا عن استخدامي حتى إن لم أكن حساسًا لصوته أحيانًا. فعدد الأشخاص الذين يصرخون للرب يفوق تصورنا وإدراكنا. إنهم قريبون منا ويجب أن نصلي أن ننال روح الحكمة والإعلان كل يوم قبل مغادرة المنزل، لأننا دُعينا لنكون صيادين للبشر.

ذات يوم، خلال جولتي اليومية الاعتيادية، دنوت من أمينة صندوق في المتجر لأدفع ثمن الخضار. هي كانت في

الستينيات من العمر، لكنها بدت أكبر سنًّا لشدة بؤسها، لأنها تعاني من كسر في ذراعها لم يتعافَ. ولما حان دوري لأقف في صف الانتظار، وعلمًا بأني كنت على عجلة من أمري، توجهت مباشرةً نحو الهدف وقلت لها: "ليس من الطبيعي أن تتألمي وأنا أعرف من هو قادر أن يشفيك. إسمه هو يسوع المسيح. هل تريدين أن تقبليه مخلِّصًا لحياتك؟" فوافقت بدون أي تردد. وبينما كانت تردد الصلاة الخلاصية من بعدي، بدأتُ أسمع صوت تحرّك عظام ذراعها. شفى الله عظامها، فبدأت تحرك ذراعها في جميع الاتجاهات، وأذهلت الجميع.

وبينما كنت أهمّ بالانصراف، سمعت أحد زملائها يصرخ قائلًا: "أحسنت سيدي!" فاستدرت وأجبته فورًا: "لا! لا! لا! لا تمدحني أنا بل امدح الرب!" كان على وشك أن يخطف فرحتي عبر محاولته سلب مجد يسوع وإعطاءه لإنسان.

وفي يوم آخر، خلال الجولة نفسها، لما وصلت إلى ساحة "فيكتور أوغو"، دنت مني امرأة هوى. لو أني لم أكن مؤمنًا، كنت لأشتمها أو أحوّل نظري عنها. أما اليوم، فأنا أنتظر فرصة مماثلة لكي أقدم إليها اقتراحًا أفضل يحررها من بؤسها. وقبل أن تتسنى لها فرصة الكلام، بدأت أحدّثها عن محبة المسيح لها. وكنت أنا المتكلم الوحيد في ذلك الحديث. وما هو إلا وقت قصير حتى اغرورقت عيناها بالدموع. لا شيء يفرحني أكثر من رؤية خطاة يتغيرون بقوة الحق أمام عينيّ. فقبلت المرأة المسيح، ورجعت عن حياة الزنى. وحرصتُ على أن تتولى متابعتَها كنيسةٌ صالحة انضمّت إليها لاحقًا. ثم استطاعت أن تربح مثيلاتها للمسيح الذي تفوق نعمته ومحبته

ورحمته الخيال.

وتَرَكَ التسعة والتسعين

لا يمكن لأي كلمة بشرية أن تصف نعمة الله المذهلة، ومحبة يسوع التي تفوق الإدراك. نحن نخدم إلهًا هو محبة، هو أب وإله أحبَّ العالم كثيرًا حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. نحن نخدم إلهًا يترك التسعة والتسعين ليبحث عن النفس الضالة. على الصليب، عُلِّق يسوع عريانًا، وجُلِد، وثُقِبت يداه ورجلاه حين حمل خطايا العالم كله. ومع أنه كان قدوسًا بارًا بلا خطية، هو حمل طوعًا كل آثامنا وأوجاعنا وأحزاننا وأمراضنا ورفضنا وفقرنا. وتعرض للتعذيب وبُصِق عليه في خضمّ هجوم شيطاني عنيف ضده. لكن في قمة العذاب، طلب منه المجرم المصلوب عن يمينه أن يترأف عليه، وقال: "أذكرني متى أتيت في ملكوتك."

بدا كما لو أن السماء وخطة الله لخلاص العالم توقفتا لبضع ثوانٍ. جعل يسوع البشرية تنتظر لبعض الوقت لكي يخدم هذا المجرم المصلوب بجانبه، وقال له: "اليوم تكون معي في الفردوس". فتهللت السماء بهذا الخاطئ الواحد الذي تاب.

كم من المرات ننشغل كثيرًا بالخدمة لدرجة أننا لا نجد الوقت للتحنن على نفس متألمة؟ لكن لم تكن هذه حال يسوع الذي ترك التسعة والتسعين من أجل خاطئ واحد. هذا هو قلب رأفته وطبيعته المُحِبَّة. لا يمنعه انشغاله من الاهتمام بأي أحد. ما زلت أذكر حين كنت أقوم بجولة تبشيرية في أفريقيا. آنذاك، طلبت الإذن للخدمة في سجن "كينشاسا" في الكونغو.

فحصلت على الموافقة، وتم تحديد تاريخ الزيارة. فانطلقت في طريقي إلى ذلك السجن الكبير حيث كان الجميع في انتظاري، وأنا أتشوق للوصول إلى هناك لأكرز بالإنجيل للمساجين.

وكما هي الحال غالبًا، يستخدم الشيطان شتى أنواع الوسائل لإعاقة مخططات الله. هذه المرة، قرر تأخيري عبر جعل السيارة التي تقلّني تتوقف فجأة في منتصف الطريق. سمعت ضجيجًا رهيبًا حين وقعت قطعة من المحرّك على الطريق، فتوقفت السيارة. ولم تكن تلك المرة الأولى التي تتعطل فيها السيارة التي تقلّني. في الواقع، غالبًا ما يتكرر الأمر، وفي كل مرة، يتبين لي أن الله سمح بحدوث ذلك لهدف ما.

لذا، حين تتوقف سيارتكم فجأة في مكان لا تتوقعونه، قبل أن تبدأوا بانتهار الشيطان، حاولوا أن تسألوا الرب عن الهدف وراء حدوث ذلك. هذا لأن الله قادر بكل بساطة أن يمنع تعطّل سيارتكم. أذكر أني كنت عائدًا ذات يوم من رحلة طويلة، وما إن أوقفت السيارة حتى بدأت سمعت ضجيجًا غريبًا. واذا بالمقود ينفصل عن قاعدته والبراغي تتساقط على قدميّ. والملفت هو أن الأمر لم يحدث أثناء قيادتي السيارة، بل بعد أن ركنتها وصرت في أمان تام. أراد الشيطان أن يؤذيني، لكن الله حماني على طول الطريق وبيّن لي أنه ممسك بزمام الأمور.

واحتفظت بتلك البراغي للذكرى.

بأي حال، أول فكرة راودت ذهني آنذاك، في ذلك المكان الصحراوي، هو أنه لا يجدر بي التأخر في الوصول إلى

السجن. ولما خرجت من السيارة، رأيت قطعة من المحرك واقعة تحتها. فقلت لنفسي: "لقد علقت هنا!" ورحت أنظر من حولي، فرأيت متجرًا صغيرًا عند قارعة الطريق. بعد قليل، خرج من هذا المتجر رجل نظر إلى سيارتي وقال: "أنا ميكانيكي. بإمكاني أن أصلح هذه السيارة خلال ٢٠ دقيقة." وبينما كنت لا أزال أتساءل لماذا سمح الله بأن تتعطل سيارتي أمام ذلك المتجر، وجدت نفسي محاطًا بثلاثين شخصًا قادمين من حيث لا أدري. ولفت نظري شاب بينهم يضع قلادة كبيرة حول عنقه، وقد نُقشت عليها رموز شيطانية. فقلت له: "اقترب يا صديقي، ما اسمك؟" فأجاب: "أنا أدعى مشكلة (Prob–lème)." فأجبته بذهول: "مشكلة؟!" فقال: "أجل، هذا هو الإسم الذي أطلقه علي والداي." فطلبت منه أن يريني قلادته. ولما أعطاني إياها، وضعتها تحت قدميّ ودست عليها، وبدأت أصلي لأجله. فطلب يسوع مخلِّصًا لحياته، وكسرتُ كل اللعنات المتوارثة في حياته، وطردتُ الأرواح الشريرة بسلطان إسم الرب يسوع المسيح. فتحرر ووجد السلام والفرح المرافقَين للخلاص. ثم قلت له: "من الآن فصاعدًا، لم يعد اسمك مشكلة (Problème)، بل سأسميك بركة (Béni)." ثم صليت للثلاثين رجلًا، فقبلوا جميعًا المسيح ربًّا ومخلِّصًا لحياتهم.

لم يكن الشيطان هو من أوقف السيارة في ذلك المكان تحديدًا، بل الرب هو من رتّب حدوث ذلك. فهو سمح بأن ينتظر آلاف الأشخاص من أجل هؤلاء الثلاثين الذين كانوا يبحثون عنه، وخصوصًا ذلك الشاب الذي أراد الله أن يقول له إنه سيحوله من مشكلة إلى بركة. ومثلما استوقف الله بطرس من خلال أحداث مرتَّبة إلهيًّا، وأعاق مخططاته من أجل كورنيليوس،

هكذا أيضًا هو جعل الآلاف ينتظرون من أجل شخص واحد.

وشفاهم جميعًا.

كنت ألاحظ دائمًا أنه بعد أن يستخدمني الله استخدامًا مؤثرًا خلال النهار، أو بعد مؤتمر كرازي أو اجتماع شفائي، كان يفتقدني افتقادًا خاصًا عند المساء. وفي بعض الليالي، كان حضوره يملأ الغرفة بشكل مذهل على شكل سحابة كثيفة ورياح قوية تهبّ فوق رأسي. وكنت أمضي بعض الوقت في ظل الرياح والسحابة إلى أن أغفو.

في شهر مايو/أيار ٢٠٠٩، طُلب إلي الذهاب للصلاة لأجل سيدة في مدينة "جونية" في لبنان. هي كانت قد خرجت للتو من المستشفى بعد أن تعرّضت لحادث سبّب لها كسورًا في عظم الورك، ما جعل لديها ساقًا أقصر من الأخرى بثلاث سنتمترات، فلم يعد بإمكانها المشي بمفردها. كما أنها كانت تعاني من الكآبة إلى جانب آلام في الظهر. فأمسكتُ بقدميها وبدأت أصلي لأجلها. وفيما كنت لا أزال ممسكًا بقدميها، رأينا بأمّ العين القدم الأقصر تطول لتصبح مساوية للأخرى. ثم نهضت بمفردها، وأخذت تمشي بشكل طبيعي، فأذهلت الحضور. أيضًا، زالت الآلام في ظهرها، وتحررت من الكآبة.

وفي الوقت نفسه، شفى الله شخصين آخرين من أمراضهما، من بينهما شابة كانت ستخضع لعملية جراحية في أصابع قدميها التي كانت مشوّهة منذ الولادة، وتسبّب لها آلامًا مبرحة. فأجرى لها الرب بنفسه العملية الجراحية. ونتيجة ذلك، قَبِل خمسة أشخاص الرب مخلّصًا لحياتهم. فليتمجد إسم الرب!

"وَكُلُّ الْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ لأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي الْجَمِيعَ." (لوقا ٦: ١٩)

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يشفي فيها الرب جميع الحاضرين في المكان، أو أمراض شخص واحد.

في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٩، وعظت في كنيسة في فرنسا أمام جماعة تضمّ ١٠٠ شخصًا، فشفى الرب معظم المرضى بينهم، بمن فيهم سيدة تبلغ ٨٦ عامًا من العمر تقدمت متكئة على عكازين. وكانت لديها ساق أقصر من الأخرى نتيجة تعرّضها لحادث سيارة. كما أنها كانت تعاني من التهاب المفاصل ومن انحناء في الظهر. وما إن وضعت يدي على رأسها حتى تمددت الساق الأقصر لتصبح مساوية للأخرى. وفي الحال، زال التهاب المفاصل واستقام ظهرها.

هي جاءت منحنية، بالكاد تقوى على المشي، وقد ملأت الأمراض جسمها. لكنها خرجت متعافية تمامًا، تمشي بشكل طبيعي وتسبّح الرب.

لم تتمكن ابنة الراعي من حضور ذلك الاجتماع الخاص بسبب إصابتها بنوبة ربو حادة مباشرة قبل موعد الاجتماع. لكنه الرب لم ينسَها. فقصدتُ بيتها برفقة والدها وصليت لأجلها، فشفيت على الفور. هي لم تتمكن من حضور الاجتماع، لكن الرب زارها حيثما كانت.

ذات مرة، كنت أخدم في كنيسة في أتلانتا حيث شفى الرب الكثير من الأشخاص بين الجموع. وكان المصوّر مريضًا يعرج ولا يقوى على المشي بشكل صحيح. هو كان يصوّر اجتماع

العبادة وجميع الذين يشهدون عن عمل الرب في حياتهم. وإذا به يتقدم إلى الأمام ليدلي هو أيضًا بشهادته. قال: "بينما كنت أصوّر جميع هؤلاء الأشخاص الذين نالوا الشفاء وبدأوا يشهدون عن عمل الرب، شعرت بأني على حدة، فقلت للرب: "ليتني لم أكن منهمكًا بالتصوير لكي أتمكن من التقدم إلى الأمام للصلاة، لأني في حاجة ماسة إلى شفاء"، وفي الحال، لمست قوة الله الشافية ساقي، فشفيت تمامًا."

الفصل السادس عشر

الطاعة هي المفتاح

أحببت الفترة الانتقاليّة تلك إذ رحْتُ أتجوّل بحرية بين أوروبا ونيويورك ولبنان! استمتعْتُ كثيراً لدرجة أنه عندما حان الوقت لأستقرّ في لبنان، كدْتُ أن أغيّر رأيي. لطالما عرفْتُ أنّ الله يريدني في لبنان والشرق الأوسط للقيام بخدمة مميّزة، ومع ذلك، كنتُ أحاول دائماً البقاء في أوروبا وكنت أتردد في العودة إلى لبنان. فقد هجرته منذ خمس وثلاثين سنة، لئلا أعود إليه أبداً. وكما عاندْتُ الله قبل أن أسلمه حياتي، رحْتُ الآن أعاند دعوته لحياتي. أردْتُ أن أفعل مشيئتي، في المكان والزمان اللذيْن أختارهما. أردْتُ أن أخدمه في أوروبا والولايات المتّحدة، لكنْ ليس في لبنان... لكن الله عمل فيّ بشكل عظيم، وغيّر قلبي، ومسحني، وعلّمني أن أثق به. ومع ذلك، كان عليه أن يعمل أكثر بعد على تحريري من عنادي. فلقد كان المصرفيّ القديم لا يزال حياً!

توجد حماية في الطاعة. فمشيئة الله هي الأفضل والأكثر أماناً! بعد تخرّجي، شعرْتُ بيد الله وبحمايته بطريقة ملموسة. فهو أنقذني مرّةً من حادث على الطريق العام كاد أن يودي بحياتي. كنتُ أقود سيّارتي المرسيدس بسرعة ثمانين ميلاً في الساعة. وفجأةً، اصطدمْتُ بالسيارة التي كانتْ عن يميني. وفيما رحْتُ أدير المقود نحو اليمين، أخذت السيارة تنحرف

يساراً، نحو الجهة المعاكسة، رغماً عني – فنجوت من حادث رهيب. وعلى مسافة قريبة، توقّف كلانا على جانب الطريق العام. ويا للدهشة، لم تتضرّر سيارة أيّ منا، ولم يصب أحد بأيّ أذى – عدا أنني لاحظْتُ خدشاً على سيارتي بقي كتذكار – تماماً كالإصبع الذي كسرته في حادث تحطّم الطائرة. عانقْتُ الإنكليزي المذهول هاتفاً: "يا للمعجزة التي صنعها الربّ!"

كانت أمور كهذه عادية بالنسبة إلي ما دمت أسلك بطاعة الله.

كنت متيقناً دائماً في قلبي أنّ الله دعاني إلى الشرق الأوسط.

في تلك الفترة، كان "وليد" في لبنان، وراح يحثني على العودة إلى بيروت حيث كانتْ الحاجة إليّ ملحة، لكنني رفضت. كنتُ أزوره كلّ بضعة أشهر لأمدّ له يد المساعدة، لكنني سرعان ما كنت أعود إلى باريس أو لندن أو نيويورك...

لكن خلال تلك الفترة، حدث لي أمر غريب. كنتُ كلّما خالفت مشيئة الله ببقائي خارج لبنان، أصاب بمرض ما، وأتعافى فور عودتي إلى لبنان. وجّه إلي الله تحذيراً واضحاً لكني بقيت أعاند. ولم آخذ تحذيره على محمل الجدّ، حتّى عندما كان يرفع عني حمايته حين أكون خارج لبنان...

في أوكتوبر عام ١٩٩٧ في نيويورك، إرتفع ضغط دمي بصورة مفاجئة حتّى بلغ ٢٣,٥/١٣,٥. وتمّ نقلي إلى المستشفى في سيارة الإسعاف ثلاث مرات. إذ كنتُ ما إنْ أغادر المستشفى، يرتفع ضغط دمي فأضطر للعودة إليه على الفور. وفيما كانتْ

سيارة الإسعاف في طريقها لنقلي إلى المستشفى للمرّة الثالثة، شعرْتُ بأني سأموت ورحتُ أرتجف كالورقة. فاتصلْتُ بابني "وليد" في لبنان عند الساعة الثانية ليلاً، بتوقيت بيروت، ورحْتُ أملي عليه وصيتي الأخيرة... لكنه انتهرني، ورفض أن يدوّن ما كنتُ أقوله، ثمّ قاطع الحديث وراح يتشفّع ويصلي لي بالروح. وصلْتُ إلى المستشفى بمعجزة حيث اجتهد الأطباء لمعالجة مسألة الضغط، لكن من دون جدوى. ولفرط يأسهم، زادوا كميّة الدواء بشكل كبير، فهبط ضغطي في الحال إلى خمسة على صفر. حاولوا معالجة مشكلة واحدة، فوقعوا في مشكلة أخرى أكثر خطورة من الأولى. مما يعني إما الموت الوشيك أو خللاً دائمًا في الدماغ.

وجدْتُ نفسي مُحاطاً بالأطباء والممرضات المضطربين، محاولين جهدهم لإنقاذ حياتي. تماماً مثلما يحصل في الأفلام. عرفْتُ أنني أحتضر. فرفعْتُ عينيّ إلى السماء وقلْتُ ليسوع:

"سأراك بعد ثوانٍ، المجد لاسمك القدّوس، لك أسلّم نفسي وروحي."

وأنا أشير هنا إلى أنه حين يواجه المؤمن المولود ثانيةً الموت، فهو يكون متيقّناً من أمريْن: لا يخاف من الموت ولا يشكّ في خلاصه. كنت أعلم من دون أدنى شكّ أنني مخلّص وأنني سأكون في السماء مع الربّ بطرفة عين. والمدهش هو أنني وسط هذه كلها، رحْتُ أضحك، وسمعْتُ في روحي صوت الربّ قائلاً:

"بنيّ، أتريد أن تذهب إلى مسكنك الأبديّ في السماء الآن، أم

تريد أن تنطلق لخدمتي في مسكنك المؤقت في لبنان حيث دعوتك أن تكون؟"

فأجبته: "حسناً يا ربّ، سأخدمك في لبنان. سأعود إلى لبنان وأستقرّ فيه."

كان علي البقاء أربعة أيّام إضافيّة في المستشفى قبل أن أخرج منه. خلال تلك الفترة، سمح الربّ بأن أمر باختبار لم أنسه أبداً. كنتُ في غرفة صغيرة في قسم الطوارئ، متألماً عاجزاً عن الحراك، وجسمي مملوء بالأنابيب. كنتُ وحيداً، تبعدني عن أصدقائي وعائلتي آلاف الأميال. فهم لم يعرفوا حتّى في أيّ مستشفى كنتُ وكيف يصلون إليّ.

في الواقع، لم أكنْ وحيداً كلياً، لأنه كان يشاركني الغرفة نفسها مريض آخر، لا يبعد عني سوى نصف متر. كان هذا يصرخ طالباً من الممرّضة أن تجلب له مسكّنات للألم، فكانتْ ترفض طلبه لأنّ حالته لا تسمح له بتناول الأدوية. تجادلا لبعض الوقت، وحين أطلعته الممرّضة على ضرورة إجراء فحص بول له، رفض الأمر. وراح يناقشها علّه يصل إلى تسوية ما. فعرض عليها أن يقبل بإجراء فحص البول شرط أن تأتيه هي ببعض المهدّئات أولاً.

كان هذا الجدال يدور وأنا ممدد في سريري، أتألم جسدياً وروحياً ونفسياً. ولم تنتهِ المأساة هنا، إذ تمّ نقلي إلى غرفة أصغر في المستشفى. وبالرغم من أنّ الغرفة لم تكنْ تتسع إلا لشخص واحد، علمت بوجود مريض آخر على بعد سنتيمترات مني، تفصلني عنه ستارة رقيقة. وكان هذا الأخير قد دعا

صديقه لمشاركته السرير في تلك الليلة. لكن لم يبدُ أن الأمر أزعج الممرضات كثيراً. فأمضيا الليلة سوياً، فيما بقيتُ أنا مستيقظاً عاجزاً عن النوم، وعن الحراك والتنفّس حتى. في تلك الليلة الطويلة، رحْتُ أتأمّل بتحذير الله لي...

في اليوم التالي، تحسّن الوضع بشكل كبير، إذ جاء إبني "فادي" بشكل غير متوقع من لبنان لزيارتي في نيويورك. وبمعجزة، استهدى إلى المستشفى. وما هي إلا أيام، مباشرةً بعد أن تعافيت، حتى حجزْتُ على أوّل طائرة إلى بيروت. ومع أنّ ابني ساعدني في التحضير لانتقالي إلى بيروت، رحْتُ أرتجف للمرّة الأخيرة. علمت أنّ ضغط دمي كان مرتفعاً جداً في ذلك الحين. فترددت بين ركوب الطائرة والدخول إلى المستشفى. كان الخيار صعباً. لكنني وضعْتُ ثقتي بالله وصليْتُ، وتوجهْتُ إلى مطار "كينيدي" في نيويورك. صعدْتُ إلى الطائرة في كرسيّ نقال. إنْ دعاني الله إلى لبنان، فليتكفل بإيصالي سالماً!

وصلْتُ إلى لبنان بعد أن تناولت أدويتي المتعدّدة المخصصة لضبط ضغط الدم، والتي أصبح علي أن أتناولها لبقيّة حياتي. وبعد أن وصلت سرعان ما تحسّن ضغط دمي بشكل جذريّ. وكم دُهش الأطباء عندما اتخذت خطوة إيمان وتوقفت عن تناول جميع الأدوية، بعد أن استقرّ ضغط دمي.

لكن حتى هذا الدرس لم يكن كافياً لأنني بقيت أنظر إلى الماضي محاولاً أن أصل إلى تسوية مع الله. كان المصرفي القديم لا يزال حياً فيّ!

بدأت أفسّر كلمات الله على طريقتي، ربّما لم يكنْ هذا تماماً قصد الله. ربّما أرادني في لبنان لفترة قصيرة... عاندت كثيراً ولطالما أردت أن ألوي ذراع الله. وكان على الله أن يعلّمني الطاعة بأقسى السبل.

في سبتمبر عام ١٩٩٨، تلقيتُ خبراً رهيباً! قصدت الطبيب لأجري فحوصات روتينية، فأفاد في تشخيصه بأني مصاب بسرطان البروستات. لم أصدّق الأمر!

نصحني الطبيب بأن أجري عملية على الفور ليرى إن كان بإمكانه أن يوقف انتشار السرطان أو أن يستأصله، أو إن كان قد فات الأوان للحدّ من تفشي المرض.

تلقيت صدمة– أنا مصاب بالسرطان. ماذا عن دعوتي ماذا عن الرؤى...؟

الفصل السابع عشر

موعد إلهي في المستشفى

أدركت أنه لا يجدر بي القيام بأي خطوة بدون أن أستشير الله أولاً، وأن أسلك في طاعته. فكلما تعاظمت دعوتك، كان عليك أن تكون أكثر طاعة. فطلبت من إبني ومن الكنيسة كلها أن يصلوا لأجلي. تبت وسلّمت نفسي بالكامل لله. قبل ليلتيْن من موعد العمليّة، عمّدني إبني في حمّام الكنيسة. أنا الذي خططت ألا أتعمّد إلا في "بنساكولا"، في كنيسة "جماعة الله" التي تختبر نهضة. أردت أن أتعمّد أمام آلاف الأشخاص، لكنني وجدْتُ نفسي أتعمد في ذاك الحمّام الصغير أمام أشخاص معدودين.

نجحت العمليّة بامتياز، وتمّ احتواء المرض في الوقت المناسب. والطبيب الذي صلينا له بوضع الأيدي قبل العملية دهش واعترف بأنّ يد الله ساندته. تعافيت بسرعة هائلة، وشُفيت إلى التمام...

منذ ذلك الحين أدركت أهميّة الطاعة وأهمية دعوتي أيضاً.

الطاعة هي أهم ميزة يجب أن يتحلّى بها إبن الله.

ما دمت تسلك بالطاعة وتكرس ذاتك لخدمة الله، فالله سيستخدمك باستمرار وأحياناً في أكثر الظروف غرابةً.

بعد يوم من العملية التي استغرقت أربع ساعات، كنتُ مستلقياً في سريري، لا أقوى على الحراك بدون مساعدة، مكبلاً بالأنابيب والمصل. في حوالى الساعة التاسعة من ذاك المساء، كنتُ نائماً، وإذا بي أصحو بغتة.

سألت: "أهذا أنت يا ربّ؟ ماذا تريد مني؟." لكنّ أحداً لم يُجب. ولشدة ما كان جسمي متعباً جراء العمليّة ويتوق إلى الراحة، نمتُ مجدداً. وللمرة الثانية صحوت فجأةً، وما لبثت أن استغرقت في النوم مجدداً.

وعندما تكرّر الموقف نفسه للمرّة الثالثة، توقفت وسألت الربّ:

"يا ربّ، لماذا توقظني بهذه الطريقة؟"

بعد أن طرحت عليه السؤال، أيقنت أنّ النور ما زال مضاءاً في الغرفة، فضغطت على الجرس مستدعياً الممرضة لتأتي وتطفئه. وفيما كنت بانتظارها، دخل رجل وقال لي:

"لا يفترض بي أنا أن آتي لخدمتك، لكنني كنتُ ماراً من هنا، فدخلت. بالمناسبة سيدي، هل لي بسؤال؟"

أجبته: "نعم".

"هل أنت كاهن؟"

"لا، لست كذلك. لماذا تسأل؟"

"بالحقيقة، أنا الذي دفعت سريرك النقال إلى غرفة العمليات بالأمس، وقد لفت انتباهي ذاك الصليب الخشبي المعلّق على قميصك الأبيض. كما لاحظت أيضاً أنك حتى عندما فقدت

وعيك في غرفة العمليات، لم تتوقف عن الصلاة بلغة غريبة لم يفهمها أحد. وما إن خرجت من العملية، وكان تأثير البنج ما زال بادياً عليك، تمتمت: "يسوع كان حاضراً خلال العملية يحرّك يديّ الطبيب الجراح." هذا أوّل ما تفوهت به! كما أن الكتاب المقدّس لا يفارق سريرك. لذلك أسألك إن كنت كاهناً."

قلت له: "لست كاهناً – بل أنا مبشّر بالمسيح!".

ورحت أكلمه عن محبة يسوع وقدرته.

ولشدة حماسته، قال لي:

"سيدي، درستُ اللاهوت طوال ستّ سنوات لكي أصبح كاهناً، لكنني لم أكمل سنتي السابعة والنهائية قبل الارتسام. ومع ذلك، لم أسمع عن يسوع كما تتكلّم عنه أنت. أنا أدرّس التعليم المسيحي في أربع مدارس خلال النهار، وخلال الليل أعمل في هذا المستشفى.

يقتضي عملي أن أنام ليلاً على الكنبة في غرفة المرضى الذين خضعوا حديثاً لعملية جراحية والذين هم في حاجة إلى المساعدة أو الرفقة. كنت أودّ أن أسمع المزيد منك لولا التزامي بدوام العمل الآن. لكن إن حجزتني غداً مساءً، عندئذٍ قد أعود وأنام في غرفتك، وهذا سيكلفك ٤٠ دولاراً لحساب المستشفى. وبهذه الطريقة، أسمع المزيد من تعاليمك الغريبة!"

فأجبته: "أنت محجوز."

وفيما هو خارج، مدّ رأسه من الباب وقال لي:

"بالمناسبة سيدي، لماذا ضغطت على الجرس؟ ما الذي أردته بالتحديد؟"

"أردت أن تطفئ لي النور."

وهكذا فعل، وعندئذٍ نمت نوماً عميقاً، بدون أن أقلق طيلة الليل.

وعاد في المساء التالي، لكن هذه المرة، ليقضي الليل بطوله معي ليتمم واجبه. فكلمته عن الرب على مدى ساعة تقريباً، ثمّ سألته:

"أتريد الآن أن تسلّم حياتك ليسوع وتعلنه رباً على حياتك؟"

فأجابني: "ليس بعد، سيدي، أودّ أن أفكر في المسألة برمتها. لستُ واثقاً أنني مستعد لذلك."

"حسناً، نم على الكنبة ومتى تأكدت من استعدادك، أيقظني في أيّ ساعة شئت."

وحوالي الساعة الرابعة فجراً أيقظني قائلاً: "سيدي، أصبحت مستعداً الآن."

قلت له: "حسناً، من فضلك، ساعدني على الجلوس. (أحبّ دائماً أن أصلي للناس بوضع يدي عليهم حين يقررون أن يقبلوا يسوع في قلوبهم).

فأجلسني برفق وروية في فراشي دون أن يزيح أياً من الأنابيب الموصولة إلى جسمي. ثمّ ركع وأحنى رأسه وقال:

"أنا مستعدّ الآن لأقبل يسوع."

وضعت يدي على رأسه وقدته في الصلاة ليسلّم حياته للربّ.

ثمّ وقف، وقد صار إنساناً جديداً، وعيناه مغرورقتان بالدموع والبسمة تعلو وجهه. وقال بصدق تام:

"لقد انفتحت عيناي الآن."

وبدأ يعلّم في المدارس عن الخلاص والولادة الجديدة.

الفصل الثامن عشر

التقوى الخارجية

العدوّ الأول

منذ صباي، وحتى قبل أن أنال الخلاص، لطالما كنت أكنّ كل احترام وتقدير لوالدتي، خصوصًا بعد وفاة والدي. وكنت أعتني بها دائمًا، وأخصّها بزيارة كلما زرت لبنان. أعتقد أن محبتي لوالدتي كانت الأمر الإيجابي الوحيد في حياتي خلال تلك السنوات. كان إخوتي وأخواتي يقيمون في لبنان ويعيشون حياة عادية نسبيًا. وكنت أنا الوحيد في العائلة الذي تحدى الظروف الراهنة وترك لبنان بحثًا عن حياة أفضل في مكان آخر، ونجح في ذلك. كانت العائلة تعتبرني المغامر الكبير، المتمرد الذي رفض العادات والتقاليد، البطل الذي حقق النجاح، وعرّاب الجميع.

ولما افتقد الله حياتي في مارس/آذار ١٩٩٥، بادرت فورًا إلى الاتصال بوالدتي وإخوتي وأخواتي، وطلبت منهم أن يدعوا أولادهم وأحفادهم إلى اجتماع عائلي. فقصدت لبنان خصيصًا لأشهد أمامهم عن عمل الرب في حياتي. فوصلت إلى هناك حاملًا الكتاب المقدس بيدي، وكلّي ثقة بأنهم سيؤمنون جميعًا في غمضة عين. كنت أتشوّق لرؤيتهم يذرفون دموع الفرح، ويجثون على ركبهم ليقبلوا الرب يسوع مخلّصًا لحياتهم، ويهتفون بكل ذهول قائلين: "جورج، أنت بطل!" وهم ذهلوا فعلًا! ذهلوا لدرجة أنهم اعتبروني ضالًا، فرفضوني وانتهروني

وسخروا مني واستهزأوا بي طوال اليوم. وإذا بي أجد نفسي محاطًا بوجوه غاضبة تتمنى أن تصلبني على الفور لو أمكن. أنا لا ألومهم لأني كنت أدرك أن التقاليد والعادات قد أعمت عيونهم عن الجوهر. كانوا يهتمون بالمظاهر الخارجية غير مدركين أنّ التغيير يبدأ من الداخل, فصارت كلمة الله مخفيّة وراء تقاليد من صنع بشر، ويسوع شبه غائب. ورحت أتساءل كيف يمكن للناس أن يضلّوا لدرجة التفكير أنهم يحمون الحق. تلك كانت حال هؤلاء الذين صلبوا يسوع! فتركت الاجتماع وقد أصبت بالذهول والارتباك. لا عجب في أن يسوع أحب جباة الضرائب والخطاة، وكان قاسياً تجاه رجال الدين دعاة البر الذاتي.

لكن، بعد فترة قصيرة من إقامة هذا الاجتماع العائلي، جثا ذلك الابن الضال إلى جانب والدته إبنة التسعين، وقادها في تلاوة الصلاة الخلاصية.

"فَقَالَ لَهُمُ: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ» (لوقا ١٨: ٢٩-٣٠).

بالفعل، منحني الله مئات الإخوة والأخوات، وعائلة أكبر بكثير.

أولادي الأربعة بعد أن هجرتهم بسنوات عدة.
في وقت رحيلي كانت أعمارهم ٨، ٧، ٦، و٤ سنوات

مع رئيس الجمهورية اللبناني

مع "إيزابيلا بيرون"، رئيسة الأرجنتين

منزلي في تويكنهام بالقرب من لندن

كنت أملك كل شيء: السلطة، والمال، والنساء

حياة الترف

اجتماع مجلس إدارة المصرف الذي أسسته في البحرين

اجتماع اللجنة الإدارية في المصرف الذي أسسته في لندن

الخنجر الذي أخرجه الساحر العريان من صدره بدون أي أثر للدم

رسامتي على يد القس كولين أوركهارت في المملكة المتحدة

رسامتي على يد القس كولين أوركهارت في المملكة المتحدة

الزواج ثانية بزوجتي السابقة، وأم أولادي، بعد ٣١ سنة من الانفصال والطلاق

إبنتي زينة كانت الإشبينة في زواجي ثانيةً بوالدتها

جمع الله شمل عائلتي
زوجتي، أولادي الثلاثة، إبنتي وعائلاتهم

جدّ سعيد من أحفاده السبعة

الرب يرسلني إلى العالم لأكرز بكلمته وأشهد له

الفصل التاسع عشر

ما لم تره عين...

حين استخدم الروح القدس إبني وليد ليقودني للرب، ظنّ هذا الأخير أني سأموت، حتى إنه تمنى أن يأخذني الرب إليه آنذاك. فهو كان يجد خلاصي أمرًا مستحيلًا لدرجة أنه اعتبر أني إن ذهبت مباشرة إلى السماء بعد نيلي الخلاص، تكون هذه نهاية سعيدة لحياة تعيسة. لكنه كان مخطئًا تمامًا، لأن خلاصي لم يكن إلا بدايةً لحياة مجيدة.

ها قد مرت ٢٠ سنة على بداية سلوكي مع الرب. آنذاك، كنت أبلغ ٦٥ سنة من العمر، وكنت أتمتع بكامل الحماس والاندفاع لخدمة الرب.

أما اليوم، فأنا أبلغ الخامسة والثمانين من العمر. ويمكنني أن أشبّه نفسي بكالب حين قال ليشوع: "وَالآنَ فَهَا أَنَا الْيَوْمَ ابْنُ إِثنين وَثَمَانِينَ سَنَةً. فَلَمْ أَزَلِ الْيَوْمَ مُتَشَدِّداً كَمَا فِي يَوْمَ أَرْسَلَنِي مُوسَى. كَمَا كَانَتْ قُوَّتِي حِينَئِذٍ هَكَذَا قُوَّتِي الآنَ لِلْحَرْبِ وَلِلْخُرُوجِ وَلِلدُّخُولِ" (يشوع ١٤: ١٠-١١).

واليوم، ما زلت مشتعلًا للرب تمامًا مثلما كنت يوم ولدت من جديد، وأنا أسافر في جميع أنحاء العالم لأكرز باسمه، والآيات والعجائب تتبعني أينما ذهبت للخدمة باسم يسوع. وما زال الروح القدس يجدد شبابي كالنسر.

بعد إطلاق محطة Spirit Channel، لعدة سنوات، مع ابني

"وليد" وابنتي "زينا"، وهي محطة مسيحية عربية بثّت البرامج المسيحية على مدى ٢٤ ساعة في جميع أنحاء الشرق، دعاني الرب لأبشر بكلمته في العالم. فكرزت بالإنجيل لمئات الآلاف خلال اجتماعات كبرى. وفي كل مرة، كان الله يثبّت كلامه بالآيات والعجائب التابعة، وباختبارات خلاص وتحرير ومعجزات شفاء.

في كل مرة، أرى يد الرب تمتد لشفاء مقعدين ما يلبثون أن يقفوا ويرموا العكازين جانبًا. كانت معظم اختبارات الشفاء هذه تحدث عبر وضع يديّ عليهم ورفع صلاة شخصية. وقد شفي عدد كبير من الأشخاص الذين صليت معهم، خلافًا لآخرين لم يشفوا لسبب يعرفه الله وحده! حتى إني عاينت شفاء الله لجميع المرضى والحاضرين في تلك الاجتماعات.

وعلى الرغم من أني أبشر مئات الآلاف، سواء كان ذلك على صعيد شخصي أو عبر التلفاز، أنا لا أرفض أبدًا دعوة لمشاركة شهادة حياتي أو الكرازة لكل من هو مستعد للاستماع. وإن مرّ يوم أو اثنان بدون أن أتمكن من الكرازة بالإنجيل لشخص واحد أو لجماعة كبيرة، سرعان ما أقع في الضجر، وأشعر بأني أعيش بلا هدف. فأنا أستمد الطاقة والقوة من الخدمة حتى إن دامت ساعات طويلة أحيانًا.

أنا أشعر بما شعر به يسوع حين قال: "طعامي هو أن أفعل مشيئة الآب الذي أرسلني." هذا هو الأمر الوحيد الذي يرويني ويشبع روحي. فحين أعمل في حقل الخدمة، تتدفق مني أنهار ماء حي يروي ظمأي. لكن روحي تعطش في اليوم التالي إن لم أقم بعمل الخدمة.

خلال النهار، أنا أعمل لأجل الرب، أما عند المساء، فإنه هو من يعمل فيّ. والجدير بالذكر هو أنه منذ أن آمنت المسيح، تمتلئ غرفتي كل مساء من مجد الرب، أيًا يكن البلد الذي أتواجد فيه. تختلف كثافة السحابة كل ليلة. فهي تكون خفيفة أحيانًا، وقوية في أحيان أخرى لدرجة أني بالكاد أتمكن من رؤية يدي عبرها. لا يزال اختبار السحابة مليئًا بالألغاز بالنسبة إلى ابني وليد، لكنه على الأقل لم يعد يطلب مني استشارة طبيب عيون، خصوصًا بعد أن بدات ابنته "جينيفر" التي تبلغ ١٦ سنة من العمر، وأخته "زينا"، تريان تلك السحابة حين تدخلان إلى غرفتي. يمكنني تلخيص حياتي مع الرب بالآية التالية: "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١ كورنثوس ٢: ٩)

لله كلّ المجد والإكرام والتسبيح!

نعم يا ربّ، سأخدمك طيلة حياتي على الأرض...

إنْ أردْتَ أن يكشف لك الله عن شخصه، وأن يلمسكَ بقوّته، ويمنحك الفرح والسلام اللذين يفوقان كلّ إدراك؛ ويطهّركَ من خطاياك ومن ماضيك ويجعلكَ خليقة جديدة؛ وإنْ أردْتَ أن تولد ثانيةً من روح الله، وتحصل على ضمانة خلاصك على الفور، وتعرف أنك ستذهب إلى السماء عند وفاتكَ وتعيش مع الله إلى الأبد في مجده؛ إذاً، صلِّ هذه الصلاة من صميم قلبك:

"أيها الرب يسوع، أنا أؤمن أنك إبن الله الحي، وأنك جئت إلى الأرض وصرت إنسانا ومت على الصليب لأجل غفران خطاياي، وأنك قمت من الموت، وستحيا إلى الأبد. ربي يسوع، أنا خاطئ، أرجوك أن تغفر لي خطاياي، تعال واسكن في قلبي. أنا أسلمك حياتي. آمين."

إن تلوت هذه الصلاة بصدق، راسلني عبر البريد الإلكتروني على العنوان التالي:

george@spiritchannel.tv

www.spiritchannel.tv

Skype "georgeelkhoury"

Phone: +336 77 73 73 86

وتعرفون الحقَّ والحقُّ يحرِّركم

(يوحنا 8 : 32)